العنوان:	كتب الطبقات : ظهورها و دورها و محتواها و خصائصها : دراسة تحليلية
المصدر:	أعمال المؤتمر الدولي الأول : النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات - كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة - تونس
المؤلف الرئيسي:	بوشية، محمد شافعي مفتاح
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
مكان انعقاد المؤتمر:	تونس
رقم المؤتمر:	الأول
الهيئة المسؤولة:	جامعة منوبة
الصفحات:	52 - 87
رقم MD:	623235
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	كتب الطبقات، التراجم، الفقهاء، كتب التراجم، التراث الإسلامي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/623235

كتب الطبقات
ظهورها ودورها ومحتواها وخصائصها
دراسة تحليلية

محمد شافعي مفتاح بوشية
كلية الشريعة والقانون/ ماليزيا

المقدمة

إنّ تاريخ الأمة الإسلامية يزخر بطائفة متنوعة من العلوم المختلفة المجالات والعلماء النابغين النابهين الذين قدموا للبشرية نتاجًا علميا باهرًا امتلأت به مكتبات الشرق والغرب، وقد أسهم كل علم من هذه العلوم بنصيبه في تقدم الأمة ونهضتها، وذلك لأن العلوم حلقة متصلة يخدم كل علم منها الآخر لاسيما العلوم الشرعية واللغوية. ومن بين تلك العلوم علم الطبقات والذي يعنى بدراسة أحوال الشخصيات الشهيرة في الفنون المختلفة وفي العصور المختلفة، حيث يقدم صورة واضحة عن حياتهم وإنجازاتهم التي قدموها للأمة.

وتمثل كتب الطبقات نمطا من المصادر الإسلاميّة الفريدة من نوعها، فهي لم تظهر في الحضارات الأخرى، وجاءت لتلبية الحاجة لتتبع انتقال المعرفة أو العلم من جيل إلى جيل. وقد ظهر هذا العلم في مرحلة مبكرة من تاريخ الامة الإسلامية، وكانت بداية ظهوره مرتبطة بعلوم السنة إلا أنه توسع فيما بعد وشمل علوما أخرى، وقد برزت جهود العلماء في هذا المجال بشكل واضح نتج عنه مكتبة تراثية ضخمة من المصنفات ظهر بعضها للوجود محققا، ولا زال الكثير منه حبيس أدراج خزانات المخطوطات في الشرق والغرب تحتاج لمن ينقب عنها ويستخرج دررها.

المبحث الأول: التعريف بعلم الطبقات ونشأته وأهميته

علم الطبقات عبارة عن مركب من كلمتين" علم" و"طبقات"، ويجدر بنا في بداية البحث أن نلقي الضوء على تعريف كل كلمة على حدة لنخلص إلى تعريف عام للمركب. فالعلم له تعريفات عديدة، أشهرها أنه في اللغة نقيض الجهل، وفي الاصطلاح: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. أو هو الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل(1). والطبقات: جمع طبقة، وبالرجوع إلى كتب اللغة والتعريفات لبيان هذه اللفظة يتضح الآتي: أن الطَّبَقُ (بفتح الباء) هو الغِطاءُ لكلِّ شيءٍ، وجمعه:أطْباقٌ وأطْبِقَةٌ، والطَّبَقُ أيضاً من كلِّ شيءٍ: ما ساواهُ، ويطلق أيضًا على القَرْنُ من الزمان، ويطلق

---

(1) التعريفات:ص199.للإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق.إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي– بيروت- الطبعة الأولى، 1405هـ.

على مدة عشرين سنة أيضًا، والجذر المتعلق بهذه الكلمة هو"طبق" وهو مستخدم في الآية القرآن بمعنى الحال قال تعالى (لتركبُنَّ طبقاً عن طبق)(1).

والطبقة هي الجيل بعد الجيل أو القوم المتشابهون في سن أو عهد والحال والمنزلة والمرتبة والدرجة (2).

ولا غرو أن يكون مصطلح "الطبقات" مصطلح إسلامي بحت تطور في بدايات القرن الثاني من الهجرة مع تطور نقد علم الحديث للإسناد، وأن الطبقة لم تستعمل وحدة زمنية محددة أو ثابتة، بل كانت تعتمد على اللقيا في المقام الأول، وهذا ما جعل مفهوم الطبقة يختلف من مؤلِف لآخر، بل ومن كتاب لآخر عند المصنِّف الواحد (3).

وأشهر إطلاقات الطبقة في اللغة هي:

1 – ما يغطي الشيء ويغشيه.

2- القوم المتشابهون في شيء معين.

3- المرتبة والمنزلة والدرجة (4).

وفي الاصطلاح لها معانٍ:

1 - القوم المتشابهون أو المتقاربون في الإسناد أو لقاء المشايخ.

2-الجيل بعد الجيل: كجيل الصحابة وجيل التابعين.

---

(1) سورة الإنشقاق: الآية(19) وقد وردت مادة طبق بتصريفاتها المختلفة في القرآن الكريم أربع مرات في ثلاث آيات؛ منها مرتان في آية الانشقاق السابقة، ومنهـــا قوله تعالى في الآية 15, سورة نوح:(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا). والثالثة في قوله تعالى في الآية 3, سورة الملك:(الذي خلق سبع سموات طباقا).

وفي لسان العرب "طبق": (وطبق كل شيء : ما ساواه, وتطابق الشيئان تساويًا ,والمطابقة الموافقة... وعن الزجاج أن معنى قولـه تعالى" طباقا", مطبق بعضها على بعض؛ وقال الزمخشري في أساس البلاغة "طبق": والناس طبقات: منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض).

ولا يتسع هذا البحث الموجز للتوسع في بيان معنى الطبقة واشتقاقها أكثر من ذلك، وحسبنا هنا أن ملخص كلام مفيد لبعض الباحثين المعاصرين، وهو الباحث جهاد المجالي، حيث قال معقبا على الكلمة في الآيات السابقة: ومعنى لفظة طبقة بتصريفاتها المختلفة في الآيات السابقة, كما هو واضح موافق لمعنى التطابق الرأسي..، بمعنى آخر أن الطباق معناه:أن تجعل الشيء فوق آخر بقدره، وكلمة طبقة بشتى تصرفاتها وردت في كتب الحديث الستة ومسند أحمد بن حنبل تسعًا وتسعين مرة في سبعة وسبعين حديثًا, وبمعانٍ مختلفة. أ هـ.

وقال أيضًا:ومن المعاني التي تدل عليها كلمة "طبقة" معنى الحال, فلقد أطلقوا على أحوال الناس كلمة "طبقات", وبالتالي أصبحت كل حال مفردة" طبقة". فقالوا: "فلان من الدنيا على طبقات شتى"؛ أي أنه ذو أحوال ومذاهب مختلف.

أ هـ كلامه بتصرف من كتابه: طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري.- بيروت: دار الجيل؛ عمان - الأردن : مكتبة الرائد العلمية،1412هـ/1992م, ص:18: 19: وص 21:25. وينظر: التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي-دراسة تاريخية وصفية- المقدمة: محمد خير محمود البقاعي- مقال مجتزء من مقدمة الكتاب منشور بموقع أهل الحديث.

(2) المعجم الوسيط:551/2 مادة(طبق) إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د.ت.

(3) طبقات علماء الحديث: ص58 – لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي(ت744هـ) مقدمة المحققين(أكرم الشبلي وإبراهيم الزيبق)- ط: مؤسسة الرسالة- الثانية: 1417هـ-1996م.

(4) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: 308/3، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط:دار الكتب العلمية- الأولى: 1403هـ.علم الطبقات:بحث للشيخ سيد نوح، منشور بموقعه الإليكتروني (alsayednooh.com).

وذكر بعض المعاصرين تعريفا لعلم الطبقات بأنه *__العلم الذي يجمع المسائل المتعلقة بالقوم المتشابهين في صفة ما أو أكثر نسبا ومولدا وعطاء بصورة تميزهم عن غيرهم ممن لا يشابهونهم__*[1].

قلت: والذي أراه مناسبًا للإطلاقات اللغوية، ومن خلال تتبع بعض كتب الطبقات، يمكن أن نعرف هذا العلم بأنه: علم يعنى بالتعريف والترجمة لجيل من الأجيال أو فئة متشابهة من الناس في علمٍ أو سنٍ أو منزلةٍ معينة، مع ذكر شيء من جهودهم ونتاجهم.أو نقول إن مصطلح "طبقة" يعني المرتبة التي تحتلها جماعة من الأشخاص الذين كان لهم حضور في التاريخ في سياق أو آخر، مرتبين حسب معايير محددة، دينية كانت، أو ثقافية، أو علمية، أو فنية،... إلخ[2]. وتكون كتب الطبقات بهذه المعاني السابقة هي الكتب التي تشتمل على هذا العلم. **وبيان ذلك:** أن كتب الطبقات في الأعم الأغلب تتناول التعريف بالشخص اسمًا ونسبًا ومولدًا وشيوخًا وتلاميذا ومذهبا ومنهجا، وتعرض كذلك لنماذج من جهود الشخص ونتاجه العلمي والفكري إن كان عالمًا، وتتعرض لذكر صفاته وأخلاقه إن كان من غير العلماء، كالحكماء والأولياء والصوفية وغيرهم. وتعد كتب الطبقات تراثًا علميًا زاخرًا بالمعلومات التي تخدم فروعًا أخرى من العلوم، وتعطي صورة واضحة عن حياة أهل الطبقة المترجم لهم في الكتاب. وليس بالضرورة أن يحمل الكتاب المصنف في هذا العلم اسم "طبقة" أو" طبقات" بل قد يكون الاسم صريحًا، وقد يكون غير صريح، ويكون المضمون في داخل الكتاب شيء واحد.

وبالمثال يتضح ذلك:فأكثر الكتب المصنفة في الطبقات تحمل الاسم الصريح مثل:طبقات المفسرين، طبقات القراء، طبقات الحفاظ، طبقات فحول الشعراء، طبقات الفقهاء، طبقات المحدثين، طبقات الصوفية ... وهكذا، حيث يزخر التراث الإسلامي بعشرات المصنفات في هذه الموضوعات.

وثمت طائفة أخرى من المصنفات مليئة بالتراجم لفئات معينة، ولكن لا تحمل اسم الطبقات، مثل:

1- "تاريخ علماء الأندلس"، للإمام محمد بن جعفر بن محمد بن هشام الحلبي المتوفي في نهاية القرن4هـ[3].

2 – " رجالات العلم العربي في سوس" للعلامة محمد المختار السوسي، وهو على شكل فهرس لعلماء سوس مرتب على الطبقات، وهو يشتمل على تراجم موجزة لأكثر من 1815 عالم وعالمة، بما فيهم كبار الصوفية والقراء في الفترة من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر[4].

---

(1) سيد نوح في بحثه: علم الطبقات.

(2)التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي لمحمد البقاعي- م سابق.

(3)توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط 6916 ورقة 192، 483هـ.

(4) دليل مؤلفات ومخطوطات العلامة محمد المختار السوسي:ص11، نشره نجل المصنف عبد الوافي السوسي، الطبعة الثانية- د. ت.

علم الطبقات وعلم التاريخ(علاقة الخاص بالعام):

قد يبدو للبعض أن علم الطبقات يشبه علم التاريخ،أو أنه يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، ولكن بإمعان النظر يتضح أنهما علمان مختلفان، وأن بينهما خصوص وعموم، مع الأخذ في الاعتبار احتياج علم الطبقات إلى علم التاريخ. فعلم التاريخ وعلم الطبقات يتفقان في التعريف بالرواة (وهذا في كتب طبقات أهل الحديث)، وينفرد علم التاريخ بذكر الحوادث، وينفرد علم الطبقات بذكر الحال. **فعلى سبيل المثال**:إذا كان في البدريين(من شهد بدرًا من الصحابة) مثلا من تأخرت وفاته عمن لم يشهدها؛ فإنه يذكر في علم الطبقات؛ لاستلزامه تقديم المتأخر الوفاة[1]. ولذلك عرف السخاوي علم التاريخ بأنه:التعريف بالوقت التي تضبط به الأحوال في المواليد والوفيات ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع التي ينشأ عنها معان حسنة مع تعديل وتجريح ونحو ذلك.

وعرف علم الطبقات بأنه اشتراك المتعاصرين في السن ولو تقريبا وبالأخذ عن المشايخ، قال:وربما اكتفوا بالاشتراك في التلاقي، وهو غالبا ملازم للاشتراك في السن[2]. فالتاريخ يركز في البداية على ولادة الشخص ووفاته ثم يتطرق إلى أحواله، أما علم الطبقات فيركز على الأحوال في المقام الأول ثم يتطرق إلى المولد والوفاة. وذكر السخاوي أنه قد فرق بينهما بعض المتأخرين بأن التاريخ ينظر فيه بالذات إلى المواليد والوفيات وبالعرض إلى الأحوال، والطبقات ينظر فيها بالذات إلى الأحوال وبالعرض إلى المواليد والوفيات ولكن الأول أشبه.

ولذلك فإن علم الطبقات يحتاج إلى علم التاريخ، كما قال الإمام ابن الصلاح: والباحث الناظر في هذا الفن يحتاج معرفة المواليد والوفيات ، ومن أخذوا عنه ومن أخذ عنهم ونحو ذلك ، ورب شخصين يكونان من طبقة واحدة لتشابههما بالنسبة إلى جهة ، ومن طبقتين بالنسبة إلى جهة أخرى لا يتشابهان فيها. فأنس بن مالك الأنصاري وغيره من أصاغر الصحابة مع العشرة رضي الله عنهم، وغيرهم من أكابر الصحابة من طبقة واحدة إذا نظرنا إلى تشابههم في أصل صفة الصحبة، فعلى هذا فالصحابة بأسرهم طبقة أولى، والتابعون طبقة ثانية، وأتباع التابعين طبقة ثالثة، وهلم جرا[3]. وبهذا تتضح العلاقة الكبيرة بين علم التاريخ وعلم الطبقات، مما يمكن القول معه بأن الطبقات يحتاج إلى التاريخ بصورة أكثر، والتاريخ قد يحتاج إلى الطبقات بصورة أقل، ولكن لكل علم منهما قُصّادُهُ من الباحثين والمنقبين عن تراجم العلماء وأحوالهم، وربما افتقد الباحث المعلومة في كتاب الطبقات فيجدها في كتاب من كتب التاريخ، وربما يحدث العكس.

---

(1) فتح المغيث:308/3 بتصرف يسير.

(2) فتح المغيث:308/3(تعريف التاريخ)، 388/3 (تعريف الطبقات).

(3) مقدمة ابن الصلاح:ص241، للإمام/ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، ط: مكتبة الفارابي- الأولى 1984م، فتح المغيث:388/3.

الفرع الثاني: لمحة عن نشأة كتب الطبقات وتطورها

فكرة تقسيم الناس في المجتمعات المختلفة إلى طبقات ومراتب أمر معروف في عصور التاريخ المختلفة، وذلك بهدف تمييز الناس عن بعضهم البعض، ومعرفة مكانة كل شخص بين أقرانه ومماثليه(1). ولذلك فإن الناظر إلى نشأة كتب الطبقات وتطورها ليجد انها قد ابتدأت في مرحلة تاريخية مبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية، وتحديدًا خلال القرن الثالث الهجري؛ حيث بدا الاهتمام واضحًا بالحديث النبوي وعلومه، وتنقيته مما ألحقه به المندسون والمغرضون.

وإذا كان الغرض في البداية من التصنيف في علم الطبقات هو الحفاظ على السنة النبوية، نظرًا لاتصالها بعلم الرجال وأحوالهم قوة وضعفًا وضبطا ونحو ذلك، فقد كان على علماء الحديث الاهتمام بوضع المعايير التي تسمح بقبول وتصحيح نص حديث الرسولﷺ، وقد انصبَّتْ تلك المعايير على الجانب الخُلقي في الراوي، وعلى مدى صدقه وتقواه، وأضافوا إليها تقصيًا عن البيئة الأسرية للرواة، وطبيعة ارتباطهم بالنبيﷺ، والمدة التي قضوها معه، وعلاقاتهم بصحابته المقربين، أو بخلفائه الراشدين، كما ركزوا على حدوث لقاء فعليّ أو محتمل، وحرصوا على معرفة تاريخ الولادة والوفاة لكل واحد من الأعلام المذكورين في سلسلة الإسناد. ومن ثَمَّ كان الإسناد في الحديث سببًا في ظهور التراجم التي تضم تفصيلات عن كل واحد من رجال السند، ولما كان ينبغي ترتيب أولئك الرجال على طبقات متتالية، والتركيز على المُعاصَرة، والعلاقات المشتركة، وطبيعة تلك العلاقات؛ سعيًا لتسلسل الإسناد إلى النبع الذي هو النبيﷺ، كانت ولادة فكرة الطبقات، والتي قدَّمتْ رجال السند تحت تصنيفات متعددة(2).

إلا أن الفكرة امتدت بعد ذلك لتشمل ميادين عديدة كالتفسير والفقه واللغة، حيث برزت جهود واسعة في تلك الميادين وغيرها، واتخذت أشكالا ومناهج وطرق تصنيف مختلفة على نحو ما سيتضح بعد ذلك. وفي نفس الوقت تقريبا برزت للوجود كتب التراجم، وهي المصنَّفات التي تَعْرِضُ لسير حياة مشاهير الناس الذين تجمعهم صفة الشهرة في مجال تخصُّصِهِمْ وبشكل موسوعي، وتتناول العلماء، والأدباء، والقادة، والخلفاء، وهناك ارتباط وثيق بين كتب الطبقات وكتب التراجم، حيث يكمل كل منهما الآخر.

---

(1) وهذا بالنظر إلى أن الطبقة تعني الطبقة الاجتماعية أو الرتبة الاجتماعية، حيث نجد الجاحظ مثلا في كتابه التاج في أخلاق الملوك، يقسم المجتمع الفارسي إلى أربع طبقات، ويوضح أن أزدشير الأول بن بابك حدَّد الذين ينتمون إلى كل طبقة على هذا النحو: الطبقة الأولى هم الأساورة، والطبقة الثانية هم سدنة بيوت النار، والطبقة الثالثة هم:الأطباء، والكتبة، والفلكيون، والطبقة الرابعة هم: المزارعون وأصحاب المهن.وتحدث عن قواعد اللياقة التي ينبغي على زائري الملك التقيد بها في حضوره. أهـ بتصرف من: التاج في أخلاق الملوك:ص58، لأبي عمرو الجاحظ، ط:دار الفكر-1955م.

(2) التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي.. دراسة تاريخية وصفية ص258، 259، لمحمد خير محمود البقاعي.

ويعد محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ)، ومحمد بن سلام الجمحي(ت231هـ) من أوائل من استخدموا مصطلح "طبقة" بالمعنى الأصلي له والمشار له سابقا بأنه(المرتبة التي تحتلها جماعة من الأشخاص الذين كان لهم حضور في التاريخ في سياق أو آخر). فابن سعد يقول: الطبقة الأولى على السابقة في الإسلام ممن شهد بدرًا[(1)] ويستند تصنيفه الصحابة والتابعين إلى معيار السبق إلى اعتناق الإسلام، وكلما كان الرجل مخلصاً للنبي ﷺ كان انتسابه للطبقة الأولى مستحقاً.

وابن سلام يستخدم "طبقة" بمعنى الانتساب لطبقة يقوم مفهومها على تحليل قائم على الشبه، والقياس، وتماثل القيمة، وتساوي الأحقية بين الشعراء الذين ينتمون لتلك الطبقة على أنهم أشعر العرب طبقة[(2)]. وبتدرج تاريخي موجز نجد أن أول من صنف في الطبقات هو ابن سعد صاحب الطبقات الكبير، وكان ابن سعد يعمل كاتبًا للواقدي(ت230هـ). وقد كتب الواقدي كتابا في الطبقات، ولكنه مفقود كما ذكره بعض المحققين [(3)].

ومن الإنصاف أن ننفي عن ابن سعد تهمة استقاء مادة كتابه كلها من كتابات أستاذه الواقدي، لأنه في حقيقة الأمر استقاها من مصادر كثيرة مثل كتابات الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم، ومعن بن عيسى الأشجعي، وكتب ابن إسحاق وأبي معشر وموسى بن عقبة، حيث جعل هذه الكتب مصدرًا لمعلوماته. هذا مع وجود فوارق واضحة بين الرجلين، فالواقدي كان قليل الاهتمام بالتاريخ الجاهلي، ولكن ابن سعد لم يغفل ذلك، وابن سعد يهتم بضبط الأعلام جيدا وبضبط مواقع البلدان ضبطا دقيقا[(4)]. يعد كتاب ابن سعد أول كتاب وصل إلينا في الطبقات، وهو أيضا من أوسع الكتب في هذا المجال وأحفلها وأدقها، وذلك حيث أتيح لابن سعد فرصة الاطلاع على ما سبقه من كتب التاريخ والتراجم والأنساب، واستطاع أن يلم بها ويعتصرها، ويستخلص منها صورة كاملة مترابطة. ولأن كتابه له فضل السبق والريادة في هذا المجال، فقد ظل ابن سعد من ألمع الوجوه الفكرية في عصره وما تبعه من العصور، واعتمد عليه المؤرخون الذين جاءوا بعده كالذهبي وابن كثير وابن حجر وغيرهم[(5)]. ولأهمية كتاب الطبقات لابن سعد ووجود نسخ عديدة من مخطوطاته في مكتبات الشرق والغرب[(6)]،فقد تلقفته أياد المستشرقين بالطبع مرات عديدة، واهتمت المطابع العربية بطباعته والعناية

---

(1)"الطبقات الكبير:6/3، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق د.علي محمد عمر- مكتبة الخانجي بالقاهرة- طبعة أولى:1421هـ-2001م.

(2) التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي لمحمد البقاعي م سابق.

(3) د. علي محمد عمر في مقدمة تحقيق كتاب"طبقات ابن سعد" :5/1.

(4) المرجع السابق:7/1 : 8 بتصرف.

(5) مقدمة تحقيق كتاب"طبقات ابن سعد" :5/1 د. علي محمد عمر.

(6) تنتشر مخطوطات كتاب طبقات ابن سعد كاملة أو مجزئة في مكتبات شهيرة مثل: شستر بتي، والظاهرية بدمشق، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ودار الكتب الوطنية، والمكتبة الأحمدية

به مرارا، ففي كثير من المرات طبع كاملا، وفي مرات قليلة طبعت منه أجزاء مستقلة، كأهل الطبقة الرابعة،وأهل الطبقة الخامسة، غير أنه قد وجد تباين كبير في طبعاته المختلفة في كل عصر طبع فيه [1].

ثم تبعه في التصنيف في الطبقات أبو زكريا يحيي بن معين الذي ولد سنة 150هـ وتوفي سنة223هـ، وقد عاصر يحيى بن معين مدرستين كبيرين في الحديث هما: الكوفة والمدينة وما كانتا تعجان بهما من رجال أفذاذ وعلماء عظام، ولذلك تاثر بهما يحيى كثيرًا، ففي مرة يجنح لرأي الكوفيين، وفي أخرى يجنح لرأي المدنيين، ومرة ثالثا يختار لنفسه منهجا وسطا بينهما[2]. وقد ألف ابن معين كتابه أو روايته وسماها "التاريخ" وهي في الواقع تاريخ، وأحوال رجال أو معرفة الرجال. وقد اشتهر الكتاب برواية الدوري له عن ابن معين، حيث دونه عنه الدوري في المجالس المختلفة، ودونه أشخاص آخرون غير الدوري، ولكن تدوين الدوري هو الأشهر، لدرجة جعلت البعض يظن أنها من تصنيف الدوري، وهو في الحقيقة من تصنيف ابن معين، ونسبته إليه ثابتة[3]. قسم ايبن معين روايته على طبقات حسب الأمصار بعد طبقة الصحابة، فبدأ بالصحابة ثم بدأ بالتابعين ومن بعدهم في الأمصار المختلفة، ونقله عنه الدوري[4]. ولكتاب ابن معين أو

بتونس، ومكتبة الملك عبد العزيز، والمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، ومركز الملك فيصل بالرياض.

(1) طبع الكتاب في ليدن في 8 مجلدات ثم أضيفت إليه الفهارس في مجلد تاسع، ثم طبع في بيروت على ضوء طبعة ليدن، وجرد من التحقيقات والشروح. وطبع في دار التحرير بمصر اعتمادًا على الطبعة الأولى أيضًا.وطبع في دار صادر – بيروت، سنة (1968م) بتحقيق: إحسان عباس، في 8 مجلدات. وطبع القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، في رسالة علمية بتحقيق: د. زياد منصور، ونشرته مكتبة العلوم والحكم، سنة (1408هـ، وطبع القسم الذي يتضمن الطبقة الرابعة من الصحابة بتحقيق: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، ونُشر في مكتبة الصديق. وطبعت الطبقة الخامسة من الصحابة بتحقيق: د. محمد السلمي سنة (1993م، وطبع الكتاب في دار الكتب العلمية سنة (1990 غير أنها طبعة مليئة بالسقط والتحريف. وطبع في مكتبة الخانجي بالقاهرة بتحقيق: د. علي محمد عمر، سنة (1421هـ) وصدر في (11)جزءًا. ينظر بحث "دراسة عن ابن سعد وكتابه "الطبقات الكبرى" منشور بموقع الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (www.sunnah.org.sa/ar/sunnah-sciences) بتاريخ:2011/5/13م.

وتعتبر الطبعة الأخيرة هي أكمل طبعات الكتاب وأجودها، وهي التي لدينا، ونشير إليها من خلال عرضنا لتاريخ الطبقات في هذا المطلب، وخصائص الكتاب كمنوذج تحليلي في المبحث الثالث.

(2) يحيى بن معين وكتابه التاريخ- دراسة وترتيب وتحقيق: المقدمة:32/1: 34 –د. أحمد محمد نور سيف. ط: 1399هـ– 1979م. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- جامعة الملك عبد العزيز

(3) نسبه إليه على سبيل الجزم والتأكيد غير واحد من العلماء في مواضع مختلفة من كتبهم:ابن عبد البر في الاستيعاب:185/1، وابن حجر في الإصابة:148/2 ، 51/6، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:312/13، 437/13، وابن خير الإشبيلي في ترجمته:ص126 ،حيث ذكره وذكر راويه وذكر مرتبه على حروف المعجم فقال(تَاريخ يحيى بن معين روَايَة عَبَّاس بن مُحَمَّد الدوري تبويب أبي سعيد بن الْأعرَابِي رتبه على حُرُوف المعجم)،وينظر كذلك/ هدية العارفين:515/2، لإسماعيل الباباني البغدادي –طبعة أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت مصورة بالأوفست عن طبعة وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، والرسالة المستطرفةص126. وينظر مقدمة تحقيق تاريخ ابن معين:160/1 بتصرف يسير.

(4) يحيى ابن معين وكتابه التاريخ:152/1.

روايته مكانة كبيرة عند العلماء، حيث لا تخلو صفحة من صفحات كثير من كتب الرجال من نقل عنها، وذلك نظرا لغزارة مادتها وكثرة فوائدها، ونظرا لاحتياج الناس لها فقد رتبها ابن الأعرابي (أحمد بن محمد بن زياد ت340هـ) على حروف المعجم، وكان لهذا الترتيب أثره في انتشاراها وشهرتها في الأمصار الكبرى، واعتمد عليها علماء كبار كابن عبد البر والإشبيلي.

ثم توالى التصنيف في الطبقات بعد ذلك، وسار معه في نفس الوقت التصنيف في كتب التراجم في العصور المختلفة وحتى الوقت الحالي، واتخذت كتب الطبقات والتراجم أنماطا شتى من التصنيف والتقسيم والأهداف والمناهج، على نحو ما سنورده في المبحث الثاني بشيء من التفصيل. واعتنى العلماء قديما وحديثا بشأن كتب الطبقات والتراجم في المجالات المختلفة، ولقيت اهتماما واسعا لدى العرب ولدى المستشرقين،وصنفت فيها وعنها الدراسات والبحوث المعاصرة، وكتبت فيها المقالات المختلفة سواء كانت باللغة العربية أو بغيرها من اللغات[1]، وما ذلك إلا نظرا لأهميتها الكبيرة في النواحي المختلفة، وهو ما نعرض له في المطلب التالي:

المطلب الثاني: أهمية كتب الطبقات ودورها في الميادين المختلفة

ما من شك أن كل علم من العلوم وما يصنف فيه من كتب، يمثلان أهمية قصوى في تاريخ الأمة الإسلامية، وذلك لأن كل علم يخدم صنوفا مختلفة من المجتمع، وعلم الطبقات وما صنف فيه من كتب مختلفة يمثل أهمية كبيرة في الميادين المختلفة،وهذا ما نلقي الضوء عليه في هذا المطلب من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دورها في الناحية العلمية والفكرية

لا يسع أحد إنكار الدور الكبير الذي لعبته كتب الطبقات في الناحية العلمية والفكرية في شتى الميادين، ومن ذلك ما يلي:

أولا: أنها تمثل مادة ثرية خصبة يستطيع المرء أن يستحلب منها فوائد واسعة ومادة جديدة وفوائد إضافية مختصة بتاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

---

(1) أذكر من هذه المصنفات معظم مقدمات تحقيق كتب الطبقات المختلفة، حيث اعتنى المحقق بتناول الكلام عن علم الطبقات وكتب الطبقات كمدخل عام للكتاب الذي يحققه، ثم يسهب في الكلام عن الكتاب موضع التحقيق وعن مصنفه وقد أوردنا في حواشي هذا البحث طرفا من هذه المقدمات لبعض الكتاب، واستفدنا منها في مواضع عدة، في المبحث الحالي والمبحثين التاليين.

ومن البحوث القيمة في ذلك "نظرات في نوع الطبقات في الأدب العربي" للباحث الجزائري إبراهيم حفصي في مجلة أرابيكا ـ ، المجلد 23، الإصدار الأول، والمجلد 24، الإصداران الأول والثاني- عام 1976 - 1977م. وقد تعذر علي الوقوف على هذا البحث أو على ترجمته نظرًا لمضي مدة طويلة على نشره.

ومن الكتب: كتاب التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي- دراسة تاريخية وصفية، لمحمد خير محمود البقاعي -دمشق - 1980م.

ثانيًا: أوجدت بعض كتب الطبقات تشابكا وارتباطا قويًا بين العلوم المختلفة، بما قدمته من معلومات متنوعة، وظهر هذاالتشابك جليا بحيث أصبح يلجأ إليها بعض أرباب العلوم الأخرى، نظرا لما اختصت به من خصائص التوسع في بعض المعلومات. فاحتاجها في الحديث أهل التخريج والحكم على الرجال، واحتاجها في الوعظ الخطباء والوعاظ والقصاص، لما فيها من القصص والكرامات المختلفة(طبقات الصوفية والأولياء نموذجًا). ولو شئنا تتبع أهمية كتب الطبقات في كل علم من العلوم على حدة- لما وسعنا عشرات الصفحات،نظرا لأن كل العلوم استفادت من هذه الكتب، فعلى سبيل المثال لا الحصر: تجلت أهمية الطبقات عند المحدثين الذين أبدعوا في هذا الفن في التحقق من صحة السند حيث يعرف المتقدم على المتأخر، كما يعرف به التحقق من اسم الراوي ونسبه من غير التباس بغيره. وتجلت أهميتها عند الفقهاء: في أنها أبرزت من يعتمد قوله ويرجح، ومن يترك ويصحح،عند تعارض الأقوال وتضاربها، وتباين الآراء واختلافها.

ثالثا: من فضل كتب الطبقات على أرباب هذه العلوم (الفقه والحديث مثالين) أنها تحصن المشتغلين بهذه العلوم وتقيهم من الخطأ والالتباس في معرفة أحوال العلماء ونحوهم.ولذلك فإن الجهل بكتب الطبقات يوقع البعض في حرج شديد وخطأ كبير، فمن الممكن أن يُدخل فقيه مذهب في مذهب آخر، أو ينسب له ما ليس من كلامه بسبب التباسه بشخص مثله في الاسم.

يقول السخاوي: "وكم مرة أو وقتا مصنفٌ من حفاظ الأئمة يغلط أو كم يلغط مصنف فيها لسبب الاشتباه في المتفقين حيث يظن أحدهما الآخر أو بسبب أن الشياع روايته عن أهل طبقة ربما يروي عن أقدم منها كما تقدم في آخر التابعين أو لعدم تحقق طبقته فيذكره تخمينا على وجهه التقريب". وذكر أمثلة من هذه الأخطاء فقال: "... كما اتفق للمتقيدين في إدخال من ليس من الشافعية مثلا كابن هبيرة الحنبلي وأبي بكر الطرسوسي المالكي وكذا من الظن الغالب كونه مجتهدا كالبخاري فيهم وفي إدخال مصنف طبقات الحنفية الفخر الرازي الشافعي فيهم"[1]. ولذا قال ابن الصلاح مبينا اهمية كتب الطبقات:وذلك من المهمات التي افتضح بسبب الجهل بها غير واحد من المصنفين وغيرهم [2].

رابعًا: استطاعت كتب الطبقات التي أخذت شكل أعمال موسوعية كبيرة، أن تكون محاور ارتكاز في التوثيق لكثير من الآراء الفقهية والروايات الحديثية المختلفة التي ربما كانت مفتقدة أو متعذر الحصول عليها أو مغلوطة في الكتب المختصة بها، ولذلك تدعم كتب الطبقات المعلومة تصحيحا وتفنيدا، أو تثبتها إن كانت مفقودة. وهذا ليس مقتصرا على كتب الطبقات في العلوم الشرعية فقط، بل كذلك كتب الطبقات في العلوم التجريبية

---

(1) فتح المغيث:389/3 بتصرف يسير، .

(2) مقدمة ابن الصلاح:ص241 ط، فتح المغيث:389/3 بتصرف يسير، .

كالطب(ينظر كتاب طبقات الأطباء نموذجًا تحليليًا مذكورًا في المبحث الثالث، وما احتواه من معلومات طبية قيمة منقولة عن بعض الأطباء المترجم لهم).

خامسًا: تقدم بعض كتب الطبقات تعريفا واسعا ، أو فهرسة للكثير من المصنفات العلمية في الميادين المختلفة، نظرا لحرص المصنفين على ذكر كتب الأشخاص المترجم لهم، ويتجلى هذا بوضوح في كتب الطبقات المصنفة على حسب العلوم المختلفة، مثل طبقات فقهاء المذاهب، وطبقات المحدثين، والنحاة ونحوهم.

الفرع الثاني: دورها في الناحية الاجتماعية

تقدم كتب الطبقات معلومات وافرة عن الأشخاص المترجم لهم في النواحي الاجتماعية المختلفة، ومن أبرز الجوانب الاجتماعية التي برزت فيها أهمية كتب الطبقات ما يلي :

أولا: أن كتب الطبقات تعطي صورة اضحة عن المجتمع الذي عاش فيه الشخص المترجم له، وما اكتنف هذا المجتمع من مظاهر اجتماعية،وسلوكيات وعادات تركت بصماتها على الشخص.

ثانيًا: أن هذا النوع من الكتب يقدم في معظم الحالات وصفا دقيقا لحالة الشخص المترجم له، فتذكر صفاته الخِلقية والخُلقية، وما كان يتمتع به من مظاهر ترف أو تقشف، لدرجة أن بعض كتب الطبقات تتعرض لأخص خصائصه(ملابسه عطره نقش خاتمه هيئته العامة).

وأصرح مثال على ذلك ما صنعه ابن سعد في طبقاته، حيث كان يذكر مثل هذه الأشياء(انظر كلامه عن سيدنا عبد الله بن عباس وهو يتكلم عن صفة ملابسه، وأين يلبس خاتمه،وصفة دخوله للحمَّام)[1].

ثالثا: ومنها أيضًا اهتمام كثير من كتب الطبقات بالمرأة التي تمثل نصف المجتمع، حيث أفردت لهن فصول مطولة في بعض كتب الطبقات، مما يعني مراعاة حال المرأة وإبراز دورها في المجتمع في الميادين المختلفة. ومن الكتب التي أفردت لهن أقساما واسعة من التراجم: طبقات ابن سعد (المجلد العاشر من كتاب المشار إلى طبعته سابقا مشتمل على طبقات النساء)، وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، حيث أورد ترجمات واعة لطبقات النساء نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة رضوان الله عليهم .

رابعًا: قدمت بعض كتب الطبقات تصويرا واضحًا عن أفكار بعض المجتمعات واعتقاداتهم وعادتهم وأعرافهم المختلفة، لا سيما فيما يتعلق بأمور الأضرحة وكرامات الأولياء وشطحات بعض المنتسبين إلى الصوفية، وما دار حولها من أحاديث الناس في المجتمعات التي نشأ وعاش فيها هؤلاء الأشخاص المترجم لهم(تنظر كتب طبقات الصوفية نموذجًا).

---

(1) طبقات ابن سعد:343/6.

الفرع الثالث:دورها في الناحية السياسية

قد لا يظهر دور كبير لكثير من كتب الطبقات في الناحية السياسية، ولكن لبعض هذه الكتاب دور في إبراز بعض الجوانب السياسية في عصور مختلفة، ومن ذلك ما يلي:

أولا: أبرزت بعض كتب الطبقات الصراعات السياسية والمذهبية التي نشأت في دول مختلفة، وفي عصور مختلفة، وذلك من خلال تناولها لجانب من السير أو التواريخ في بعض أجزائها، أو من خلال ترجمة شخص (عالم أو سياسي أو شاعر أو أديب) ارتبط بهذه الصراعات(ككونه عاصرها، أو كان طرفا فيها،أو تأثر بها). ومن أمثلة ذلك: كتاب"تاريخ قضاة الأندلس" [1] لأبي الحسن بن عبد الله النُباهي المالقي الأندلسي(من علماء القرن الثامن الهجري)[2]، وهو يترجم لعدد من القضاة ومع وقع بينهم وبين بعض الخلفاء من صرعات، وشد وجذب، وما وقع بين بعضهم وبين بعض أهل الكتاب من مناظرات ومساجلات.

ثانيًا: تلقي بعض كتب الطبقات - التي تهتم بتراجم الولاة والحكام- الضوء على جوانب هامة من الحياة السياسية لهؤلاء الولاة والحكام بشيء من الإنصاف ربما تفتقده كتب التاريخ، ولعل مرجع ذلك إلى أن بعض كتب التاريخ تنافق بعض الولاة والحكام، أو تنقل الصور الطيبة عن حاكم بعينه وتغفل الصور السيئة عنه. وهذا ما قد يفسر المقولة الشائعة" إن التاريخ يكتبه الأقوياء"، ففي بعض العصور يكون كتاب التاريخ هو لسان الخليفة أو الوالي.

أما كتب الطبقات فهي بعيدة إلى حد كبير من سطوة الولاة والحكام، لأن مؤلف كتاب الطبقات يبتعد ظاهريا عن الخوض في النواحي السياسية لعصره أو العصور القريبة منه، ولكن يستطيع أن يبث في ثنايا كتابه طرفا من الحقائق التي أغفلتها كتب التاريخ، أو يفند بعض الأكاذيب التي اشتهرت فيها.

وفي هذا المعنى يقول بعض الكتاب الغربيين: هاميلتون جيب: " وبالرغم من أنّ العالم والمحدّث قد تخلّيا للموظف عن دورهما في تدوين التّاريخ السّياسي فقد بقي في أيديهما ميدان أوسع من التاريخ السّياسي و هو التّراجم...فسير العلماء "ورثة النبيﷺ" كانت في نظر العلماء هي التاريخ الصحيح لأمّة الله على الأرض على نحو أصدق من تاريخ التّنظيمات السّياسيّة الزّائلة[3]. ولا يفهم من هذا الكلام أنه اتهام لكتب التاريخ، أو تفضيل لكتب الطبقات عليها، ولكن هذا من باب ضرب الأمثلة فقط، فليست كل كتب

1- "تاريخ قضاة الأندلس" أو " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النُبَاهي المالقي الأندلسي. دار الآفاق الجديدة بيروت- الطبعة الخامسة:1403هـ- 1983م.

(2) لأن تاريخ وفاته على وجه التحديد مجهول حسبما ذكر محققو الكتاب في مقدمته : ص(ي).

3 هاميلتون جيب في:التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى:ص160، طبعة المركز العربي للكتاب، دمشق.

الطبقات تفعل ذلك.

المبحث الثاني طرق التصنيف في كتب الطبقات

يزخر التراث العربي بأنواع متعددة من كتب الطبقات والتراجم، تختلف فيما بينها في طريقة تصنيفها، وعلى رأسها طريقة التصنيف بحسب العلوم المختلفة، حيث يجمع المصنف المتشابهين في الفنون والعلوم المختلفة (علوم القرآن والسنة والفقه) فيذكر أحوالهم،ومناقبهم، ومراتبهم ويترجم لهم ترجمة وافية، ويعد هذا هو النوع الأشهر من كتب الطبقات. ثم يليه في الشهرة والانتشار كتب الطبقات التي تتناول أهل بلد بعينهم، وبعضها يتناول عموم المشاهير في هذا البلد، وبعضها يتناول فئات مختلفة من علماء البلد، كعلماء كذا، وفقهاء كذا، وهناك كتب الطبقات التي تتناول الخواص من الناس دون التقيد بعلم أو صنعة أو بلد، مثل طبقات الأنبياء والصحابة والتابعين والأولياء والخلفاء والمعبرين. ثم التصنيف في الطبقات على جهة العموم، التي لا تتقيد بفن معين ولا ببلد معين، بل تنحو المنحى الزمني فقط، فتترجم للأعلام بحسب ترتيبهم الزمني، وهذا القسم أقرب ما يكون إلى كتب التراجم منه إلى الطبقات.

ولهذا فقد تجد الشخص الواحد يترجم له في أكثر من كتاب من كتب الطبقات بطريقة مختلفة، فقد يكون قارئا مشهورا أو حافظًا للحديث، فيذكر في كتاب طبقات عام، ويذكر في كتاب طبقات القراء، أو طبقات الحفاظ، وقد يذكر في طبقات أهل بلده إن كان من بلد أفرد لها كتاب في الطبقات،ولا يمنع ذلك أن يكون من الصوفية؛ فيذكر في كتاب عن طبقات الصوفية على سبيل المثال.

ونتناول في هذا المبحث محتوى كتب الطبقات أو طرق المصنفين في التأليف في الطبقات على النحو السابق في التقسيم وهو بمثابة تناول لأنواع كتب الطبقات، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: التصنيف بحسب العلوم والفنون المختلفة

وهو يشتمل على مصنفات في طبقات أصحاب الفنون والعلوم المختلفة، سواء كانت علوما شرعية، كالقراءات وتفسير القرآن، والسنة وعلومها، والفقه وأصوله، أو علومًا لغوية، كالنحو والكتابة والأدب والشعر، أو علومًا تجريبية كعلم الطب، وبيان ذلك على النحو التالي:

أولا: القرآن الكريم وتفسيره وعلومه: وأشهر ما صنف فيه قسمان:

القسم الأول:طبقات القراء:

وهو يعتني بالترجمة لمشاهير القراء، وبيان نبذة عن الحياة الشخصية لكل قارئ منهم من حيث اسمه ونسبه وسنة ولادته، ووفاته، ورحلاته في طلب العلم، ونشأته العلمية، ونشاطاته العلمية في التأليف والتدريس، وذكر أهم

المواقف المؤثرة في حياته[1]. وأبرز صور التصنيف في هذا العلم ثلاث صور هي:

الصورة الأولى: التأليف المتخصص في هذا الفن، حيث يقوم المصنف بإفراد تراجم القراء في كتب خاصة، ومن أمثلة ما صنف في ذلك:

1 -"معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" للإمام الحافظ الذهبي(ت748هـ). وقد ترجم فيه لسبعمائة وأربعة وثلاثين قارئًا منذ عصر الصحابة وحتى عصر الإمام الذهبي.

2-"غاية النهاية في طبقات القراء" لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري(ت833هـ)، وقد اختصره من كتابه الكبير الذي سماه "نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات"، واستوعب فيه جميع التراجم التي وردت في كتابي أبي عمرو الداني والذهبي، وزاد عليهما نحو الضعف، ورتبه على حروف المعجم[2].

الصورة الثانية: التأليف في القراء الكبار فقط، كالقراء السبعة، حيث يتناول ذكر أحوالهم ومناقبهم وأسانيدهم.

ومن أمثلة ذلك: "طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم"، للإمام عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلّار الشافعي (ت 782هـ).وهو مشهور ومطبوع[3]. وهناك صورتان أخريان للترجمة للقراء، **إحداهما**: الترجمة لهم في كتب التراجم والأعلام العامة، وكتب الطبقات على جهة العموم،مثل الدرر الكامنة، وسير أعلام النبلاء....

والثانية: الترجمة لبعض القراء باستفاضة في مقدمات تحقيق كتب القراءات ونحوها، وهناك أمثلة معاصرة لذلك منها:الترجمة المستفيضة للإمام مكي بن أبي طالب، للدكتور أحمد حسن فرحات، في تحقيقه لكتاب"الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة". وكذلك ترجمة الإمام نفسه في مقدمة كتاب "الإبانة عن معاني القراءات"، تحقيق د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي،والترجمة الوافية للإمام أبي عمرو الداني، للدكتور غانم قدوري الحمد، في تحقيقه لكتاب"التحديد في الإتقان والتجويد"[4].

القسم الثاني: طبقات المفسرين:

وهو يعنى بدراسة أحوال ومراتب مفسري القرآن الكريم، نظرًا لأهمية علم التفسير ومكانته، وقد وجدت مصنفات رائدة في هذا الفن، من أمثلتها ما يلي:

-"طبقات المفسرين" للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

---

(1) مقدمات في علم القراءات:ص204، محمد أحمد القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، دار عمار بالأردن- الأولى، 1422هـ-2001م.

(2) كشف الظنون:1105/2، ط: دار إحياء التراث العربي- د. ت، أبجد العلوم:362/2،مقدمات في علم القراءات:ص:205، 208 بتصرف يسير.

(3) طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، لابن السلار،ط: المكتبة العصرية، صيدا بيروت ، الأولى1423 هـ - 2003 م.

(4) مقدمات في علم القراءات: ص213، 214.

السيوطي الشافعي (ت 911هـ)، وقد ترجم للمفسرين من الصحابة والتابعين، وتابعيهم، كما أورد فيه بعض المفسرين من المعتزلة، والشيعة، ولكن الكتاب لم يكتب له التمام؛ حيث ترجم لـ(136) مفسرًا فقط[1].

- "طبقات المفسرين" للإمام محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت 945هـ)، جمع فيه تراجم أعلام المفسرين حتى أوائل القرن العاشر من كافة المصادر والمراجع التي توفرت لديه، ورتبهم على حروف المعجم[2].

السنة النبوية وعلومها: والتصنيف في علم الطبقات المتعلق بالسنة النبوية مجاله واسع وصوره متعددة، بل إن الذهن ينصرف إليه مباشرة بمجرد ذكر كتب الطبقات، وأشهر ما صنف في طبقاتها ثلاث فئات من الكتب:

الفئة الأولى: طبقات المحدثين.

ومن أمثلة ذلك وفق الترتيب الزمني كتاب"طبقات المحدثين" للقاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي (ت590هـ)، وتوجد منه نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة [3]. وكتاب"طبقات علماء الحديث" للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت744هـ). وهو من أشهر الكتب في هذا المجال حيث تناول فيه المصنف ترجمات عديدة لنخبة من علماء الحديث متناولا حياتهم ومصنفاتهم وشيوخهم وتلاميذهم، وقد نشرته مؤسسة الرسالة في أربع مجلدات كبار بتحقيق أكرم الشبلي وإبراهيم الزيبق[4]، وكتاب "طبقات المحدثين" لسراج الدين عمر ابن علي بن الملقن الشافعي(ت804هـ)، وقد تناول فيه المحدثين من زمان الصحابة حتى زمانه[5].

الفئة الثانية: طبقات الرواة.

وتشمل مصنفات في طبقات الرواة على جهة العموم، ومصنفات في طبقات الرواة عن إمام من الأئمة بعينه.

فمن أمثلة النوع الأول وفقا للترتيب الزمني:"طبقات الرواة" للإمام خليفة بن خياط بن خليفة أبي عمرو الشيباني العصفري التميمي المحدّث المؤرخ النسابة المعروف بالشباب البصري (ت240،أو242هـ)، وهو كتاب مشهور،

---

(1) جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي:ص400، طاهر سليمان حمودة، ط:المكتب الاسلامي – بيروت، الأولى، 1410 هـ - 1989م، مقدمة كتاب طبقات المفسرين للداودي: ص 2، بقلم لجنة من العلماء، ط: دار الكتب العلمية.

(2)مقدمة كتاب طبقات المفسرين للداودي: ص 2.

(3) كشف الظنون:1106/2، فهرسة مكتبة عارف حكمت بالمملكة العربية السعودية.

(4) تاريخ التراث العربي:37/16، لفؤاد سزكين، ترجمة د.محمود فهمي حجازي، ومراجعة د. عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، إدارة الطبع والنشر بجامعة الملك محمد بن سعود- 1411هـ-1991م، وينظر الكتاب المذكور ط: مؤسسة الرسالة:1997م.

(5)صلة الخلف بموصول السلف:ص:159 لشمس الدين محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي السوسي المكيّ المالكي ت 1094هـ تحقيق/محمد حجي، ط:دار الغرب الإسلامي،الأولى، 1408هـ، 1988م، كشف الظنون:1106/2.

وقد طبع في بغداد ودمشق والرياض[1]، و"طبقات الرواة" للإمام/مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب الصحيح (ت261هـ) [2]. بخلاف ما صنف في المحدثين ونحوهم من أهل بلد بعينه، على نحو ما سنقف عليه في التصنيف في طبقات اهل بلد بعينهم. **ومن أمثلة النوع الثاني** وفقا للترتيب الزمني: "طبقات الرواة عن شعبة" للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي(ت303هـ)[3]، و"طبقات الرواة عن مالك"، لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم القرطبي(ت351هـ) [4]، و"معجم الرواة عن شعبة" لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبي بكر الخطيب البغدادي (ت463هـ)[5].

الفئة الثالثة: طبقات الحفاظ.

ومن أمثلتها: "طبقات الحفاظ" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، وهو من أشهر ما صنف في هذا ، ولذا اهتم به غير واحد من المصنفين، بالنظم وبالتلخيص وبالتكملة،فصنف عليه ابن الدباغ وابن المفضل والسيوطي ذيل طبقات الذهبي، وابن فهد المكي صنف"لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ" [6].

علم الفقه والأصول:

ويشتمل التصنيف فيه على مجموعة من كتب الطبقات حسب تقسيم معين، فبعضها يترجم للفقهاء على جهة العموم، وبعضها يترجم لفقهاء مذهب بعينه، وبعضها يترجم للمجتهدين أو لرواة الفقه، وهكذا ونورد هنا أمثلة لطائفة من كتب الطبقات المتعلقة بعلم الفقه، وفق التقسيم التالي:

– **طبقات الفقهاء** (على جهة العموم أو الفقهاء والمحدثين معًا).ومن أوائل ما صنف فيها كتاب"طبقات الفقهاء والمحدثين " للهيثم بن عدي (ت207هـ) [7] و"طبقات الفقهاء من أصحاب الأئمة الخمسة" لابن حبيب الأندلسي المالكي(ت238هـ)[8] وطبقات الفقهاء وعلماء الآثار" لأبي إسحاق

---

(1)صلة الخلف:ص392، كشف الظنون:80/2،

(2) صلة الخلف:ص292، فهرسة ابن خير الإشبيلي:ص:193، الفهرست لابن النديم:ص282، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، الطبعة: الثانية 1417 هـ - 1997 مـ وتوجد من الكتاب نسخة بمكتبة أحمد ثالث مجموعة رقم 26/624 ورقة 279-297؛ 628هـ؛ ونسخة بجامعة الكويت ب/20/75 م.ك نسخة مصورة.

(3) نسبه إليه مغلطاي في إكمال تهذيب الكمال: 85/6، و265/6،تحقيق/ عادل محمد وأسامة إبراهيم، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

(4) تاريخ الإسلام:26/ 58 لشمس الدين الذهبي،تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي،بيروت- الطبعة الأولى:1407هـ - 1987م، صلة الخلف:ص249 .

(5) تاريخ الإسلام للذهبي:99/31، وذكره الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة الخطيب البغدادي- طبعة دار إحياء التراث العربي- بتحقيق تركي مصطفى وأحمد الأرناؤوط- تالطبعة الأولة:1420هـ-2000م.

(6)صلة الخلف:ص392، كشف الظنون:1097/2.

(7) كشف الظنون:1105/2، وذكر أنه أربعة أجزاء مجلدات، وذكره من المعاصرين د.إحسان عباس في مقدمة تحقيق طبقات الفقهاء للشيرازي:ص23، طبعة دار الرائد العربي- بدون تاريخ

(8) كشف الظنون:1105/2هدية العارفين:624/1.

الشيرازي الشافعي (ت476هـ)، وقد جعله قسمين: القسم الأول: فقهاء التابعين بالأمصار المختلفة (المدينة- مكة – اليمن- الشام والجزيرة- مصر- الكوفة – البصرة) والقسم الثاني لفقهاء المذاهب الأربعة والظاهرية. وهو مطبوع بتحقيق إحسان عباس(1).

– **طبقات فقهاء كل مذهب:** ومن أمثلتها في المذاهب الفقهية:

- **طبقات فقهاء الحنفية:** ممن صنف فيها أبو الوفاء القرشي وابن قطلوبغا السودوني.

أ- الجواهر المضية في طبقات الحنفية" لمحيي الدين أبي محمد عبيد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي(ت775هـ). وهو مشهور ومطبوع في خمس مجلدات(2).

ب-"تاج التراجم" لأبي العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني(ت879هـ)،وهو على حروف المعجم (3).

- **طبقات فقهاء المالكية:** صنف فيها ابن فرحون ومحمد بن مخلوف وغيرهما ومن أمثلتها:

أ – "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" للإمام إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت799هـ)،وهو مرتب على حروف المعجم، وقد تناول فيه المصنف طائفة من فقهاء مذاهب مالك في جميع الأمصار الإسلامية، وهو مطبوع في مجلدين(4).

ب- " شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية"للعلامة الجليل محمد بن محمد مخلوف، ويتميز هذا الكتاب بخروجه عن التقيد بعلماء المالكية، بل تناول مقدمة واسعة عن القرآن والسنة، وتناول طبقات أخرى من الصالحين والزهاد والعلماء، وقد قسمه مصنفه إلى 27 طبقة، بدأها بالنبيﷺ، ثم ثنى بالصحابة وهكذا...، وهو مطبوع ومشهور في مجلد كبير يشتمل على جزأين(5).

- **طبقات فقهاء الشافعية:**

صنف فيها السبكي والإسنوي وابن قاضي شهبة وابن كثير وغيرهم.

أ - "طبقات الشافعية الكبرى" لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت771هـ). وهو مطبوع بمصر في 10 مجلدات(6)، ولدي نسختين مصورتين من مخطوطاته بالمكتبة الأزهرية، وللسبكي أيضا

---

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي- الطبعة المشار إليها سابقا. وينظر:كشف الظنون:1105/2.

(2) الكتاب المذكور تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، دار هجر . وينظر:هدية العارفين:596/1.

(3) الكتاب المذكور تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار القلم- دمشق، الطبعة:الأولى، 1413 هـ - 1992م. وينظر:هدية العارفين:380/1.

(4) الكتاب المذكور ط: دار التراث بالقاهرة، بتحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور. وينظر: كشف الظنون:1106/2.

(5) الكتاب المذكور ط: دار الكتاب العربي- بيروت.

(6) الكتاب المذكور ط فيصل عيسى البابي الحلبي ،بتحقيق محمود الطماحي وعبد الفتاح الحلو، وينظر: كشف الظنون:1099/2-1100.

"الطبقات الوسطى" ولدي نسخة مصورة من مخطوطتها التي بالأزهرية.
ب-"طبقات الشافعية" لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي(ت 772هـ)، وهو مطبوع في مجلدين[1].
ج – "طبقات الشافعية" لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد ، تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي(ت 851هـ) وهو مشهور ومطبوع في الهند[2].
– **طبقات فقهاء الحنابلة**: من أمثلتها:
أ -" طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلي الفراء البغدادي الحنبلي(ت526هـ)، وهو مشهور ومطبوع في المملكة العربية السعودية في ثلاث مجلدات[3].
ب- "ذيل طبقات الحنابلة" لابن رجب الحنبلي(ت 795ه)، وهو مطبوع في مجلد، سنة 1952 بمطبعة السنة المحمدية، وعلى طبقات الفراء أيضًا"مختصر طبقات الحنابلة" لشمس الدين محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي (ت797ه) وهو من أصحاب ابن القيم، وهو مطبوع في دمشق في مجلد[4]..
ج – "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" لمحمد بن عبد الله بن حميد المكي (ت1295هـ)، وهو مشهور على الرغم من كونه متأخرًا، وقد طبع في ثلاث مجلدات بمؤسسة الرسالة[5].
5 – طبقات فقهاء الزيدية" وقد صنف فيه غير واحد من علمائهم:
– "طبقات الزيدية الكبرى" ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، للسيد العلامة إبراهيم ابن القاسم بن المؤيد بالله، وهو مرتب على حروف المعجم.
- مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن صالح ابن أبي الرجال ، وهي منشورة باليمن [6].
طبقات المجتهدين والرواة في الفقه:
ومن أمثلة النوع الأول: رسالة"طبقات المجتهدين" لأحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا(ت940هـ)، وهي رسالة صغيرة تناول فيها طبقات المجتهدين من فقهاء الحنفية من دون التعرض لتراجمهم وأحوالهم [1].

---

(1) الكتاب المذكور ط: دار الكتب العلمية سنة:1407-1997م- بتحقيق كمال يوسف الحوت، وينظر: كشف الظنون:1101/2.
(2) الكتاب المذكور طبعه للمرة الأولى: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن:1399 ط-1979م، بتحقيق الحافظ عبد الحليم خان، وينظر: كشف الظنون:1101/2.
(3) الكتاب المذكور ط: الامانة العامة للاحتفال بتأسيس مائة عام على تأسيس المملكة، بتحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، وينظر: كشف الظنون:1097/2.
(4) الكتاب المذكور ط: مطبعة الاعتدال في دمشق بتحقيق أحمد عبيد.
(5) الكتاب المذكور ط:مؤسسة الرسالة-الأولى:1416هـ 1996م، وينظر: معجم التراث الإسلامي:114/19.
(6) من منشورات مركز التراث والبحوث اليمني، بتحقيق/عبدالسلام عباس الوجيه ومحمد يحيى سالم عزان- في 4 أجزاء.

أما النوع الثاني(رواة الفقه) فالتصنيف فيها نادر جدا، حيث لم نقف فيه إلا على كتاب "نسمات الأسحار في طبقات رواه الفقه والآثار" لإبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله, الشهاري الزيدي (ت1143هـ) وتوجد من مخطوطاتها نسخًا باليمن وبالرياض[2]. وهكذا نجد ثراء واسعًا في التصنيف في طبقات علماء الفقه، بما لا يقل شهرة وانتشارا عن علم الحديث، مع مراعاة أن هناك ارتباط وثيق بين العلمين، لاسيما وأن كثيرا من علماء الفقه كانوا بارعين أيضا في علوم السنة.

طبقات علماء الأصول:

يلاحظ أن هناك ندرة شديدة جدا في التصنيف في طبقات الأصوليين في العصور القديمة، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن كثيرا من الأصوليين ترجم لهم في كتب طبقات المذاهب التي يتبعونها، ولكن على أية حال فقد وجدت جهود نادرة قديما، وجهود حديثة في هذا المجال. فمما صنف في طبقات الأصوليين قديما: "طبقات الأصوليين" للسيوطي[3].

ومما صنف حديثًا: الفتح المبين في طبقات الأصوليين للأستاذ عبد الله المراغي، ومعجم الأصوليين (أعلام أصول الفقه ومؤلفاتهم) للدكتور محمد مظهر بقا، في3 مجلدات، ويتناول فيه مؤلفه تاريخ ميلاد ووفاة الأصولي بالهجري والميلادي غالبا، ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته، ويشير لأماكن بعض مؤلفاته المخطوطة[4].

علوم اللغة والأدب والشعر:

يشمل التصنيف في طبقات أهل اللغة فئات كثيرة من العلماء وأصحاب المهن ذات الصلة الوثيقة باللغة والأدب والبلاغة، حيث يزخر التراث الإسلامي بمصنفات في طبقات النحاة واللغويين والأدباء والكتاب والشعراء، على نحو ما هو آت في الأمثلة التالية:

طبقات النحاة واللغويين.

يعد المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد النحوي (ت285هـ) أول من صنف في هذا الفن، وإن كان كتابه قد خصصه للنحويين بالبصرة، ثم تبعه أبو سعيد حسن بن عبد الله السيرافي (ت368هـ)، حيث صنف فيه كتابًا، وصنف فيه ابن قاضي شهبة، وصلاح الدين الصفدي وأبو جعفر النحاس، وجمال الدين ابن القفطي وغيرهم الكثير. ولكن أشهر ما صنف فيه هو كتاب جلال الدين السيوطي الذي جمع فيه كل ما كتبه السابقون في طبقات النحاة[5]

---

(1) كشف الظنون:1106/2، هدية العارفين:141/1، 142.

(2) نسخة جامعة الملك سعود رقم الحفظ 1571- ونسخة اليمن محفوظة بأرقام:124, 125, 224 – 226.

(3) كشف الظنون:1096/2.

(4) ينظر الكتاب المذكور من مطبوعات سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى الجزء الأول والثاني 1414هـ، والجزء الثالث1420هـ.

(5) كشف الظنون:1107/2، أبجد العلوم:364/2.

ومن أمثلته أيضًا: طبقات اللغويين والنحاة، لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأشبيلي (ت379هـ)، وقد جمع فيه النحاة واللغويين من عهد أبي الأسود الدؤلي وحتى عصره[1]. ومنها كذلك "إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين" لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني(ت743هـ) [2].

طبقات الأدباء والبلاغيين:

أ- " نزهة الألباء فى طبقات الأدباء" لأبي البركات كمال الدين بن عبد الرحمن ابن الأنباري (ت577هـ) وقد ذكر فيه مصنفه- كما قال في مقدته-: معارف أهل هذه الصناعة الأعيان، ومن قاربهم في المعرفة والإتقان، وبينت أحوالهم وأزمانهم على غاية من الكشف والبيان، والكتاب مشهور ومطبوع[3].

ب – معجم الأدباء" أو"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" لياقوت الحموي الرومي (ت626هـ) وهو مرتب على حروف المعجم، ومشهور ومطبوع[4].

ج- ومن المصنفات المعاصرة " معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م " لكامل سلمان الجبوري، وهو جيد في موضوعه، ومرتب على حروف المعجم، ويورد خلف كل شخص مصادر ترجمته[5].

طبقات الشعراء:

وأشهر ما فيها كتاب" طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي(ت231 هـ)، وهو مطبوع ومشهور بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف بمصر. و"طبقات الشعراء" لابن عبد الرحيم البغدادي، و"طبقات الشعراء" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبي محمد الدينوري (ت280هـ) [6].

طبقات الكُتَّاب :

الكتابة صنعة أدبية ذات أهمية كبيرة، وأهلها ينبغي أن يكونوا على دراية واسعة بصنوف من الآداب والمعارف، ولذلك فإن منزلتهم أعلى من منزلة الشعراء على حد قول الثعالبي في مقدمة رسائله:ولم تزل ولا تزال طبقات الكتاب مرتفعة عن طبقات الشعراء، فان الكتاب وهم السنة الملوك، إنما يتراسلون في جباية خراج، أو سد ثغر، أو عمارة بلاد. أو إصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو تعزية في رزية، أو ما شاكلها من جلائل الخطوب، ومعاظم الشؤون، التي يحتاجون فيها إلى أن يكونوا ذوي آداب كثيرة ومعارف مفننة، وقد وسمتهم خدمة الملوك بشرفها.

---

(1) كشف الظنون:1105/2.

(2) حققه د عبد المجيد دياب في 574صفحة، ونشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية 1406هـ-1986م ، وطبعته شركة الطباعة العربية السعودية.

(3) الكتاب منشور بمكتبة المنار بالأردن-طبعة ثالثة- سنة 1405 م-1985م بتحقيق إبراهيم السامرائي، وينظر:كشف الظنون:1095/2-1096.

(4) بتحقيق /إحسان عباس، طبعة دار الغرب الإسلامي-1993م، وينظر: كشف الظنون: 1096/2، هدية العارفين:513/2،

(5) مطبوع في 7 مجلدات بدار الكتب العلمية- بيروت1424هـ-2003م.

(6) تاريخ الإسلام للذهبي:565/6، كشف الظنون:1102/2.

وبوأتهم منازل رياستها، واخطارهم عالية بحسب علو الخطر مما يفيضون فيه، ويذهبون إليه (1). وقد صنف في هذا غير واحد من العلماء منهم: عبد الله بن طاهر (ت290هـ) له كتاب"طبقات الكُتّاب(2)، وأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب، له كتاب"طبقات الكتاب" ذكره ياقوت الحموي، وكتاب"طبقات الكتاب بالأندلس" لمحمد بن عاصم النحوي الشهير بالأفشتين(3).

علم الكلام: وهو علم معروف ومشهور له كتبه ومصنفاته العديدة، وله رجاله في عصور الإسلام المختلفة، وقد صنف في طبقات وتراجم علماء الكلام غير كتاب نذكر منها ما يلي:

1 - "طبقات المتكلمين" لأبي بكر محمد بن فورك (ت406هـ).

2- "أخبار المتكلمين" لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى البغدادي المرزباني(ت384هـ)(4).

3-"طبقات المعتزلة" للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدان أسترابادي ت415هـ)(5).

علم الطب والحكمة: الأطباء طبقات مختلفة، سواء كانوا من العرب أو من غيرهم، وكذا الحكماء، وأشهر ما صنف في طبقاتهم ما يلي:

1-"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للإمام موفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت668هـ)(6).

2 -"طبقات الأطباء" لأبي داود سلمان بن حسان المعروف بابن جلجل الاندلسي(ت327هـ) (7).

3- "صوان الحِكم" في طبقات الحكماء" للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد القرطبي(ت250هـ)(8).

4- "طبقات الحكماء وأصحاب النجوم والأطباء"، للوزير علي بن يوسف القفطي(ت646هـ)، وقد اختصره ابن أبي جمرة عبد الله بن سعد الأزدي (9).

وبهذا يمكن القول إن أشهر المصنفات في الطبقات، سلك أصحابها طريق التصنيف بحسب العلوم والفنون المختلفة، خدمة لهذا الفن وإبرازًا لمكانة وجهود رجاله فيه.

---

(1) رسائل الثعالبي: مقدمة الكتاب.

(2) هدية العارفين:54/1 .

(3) ، تاريخ التراث العربي، لسزكين:29/1، تاريخ الأدب الأندلسي: ص309، إحسان عباس، مؤسسة الثقافة- بيروت-1960م.

(4) كشف الظنون:1106/1.

(5) كشف الظنون:1107/1.

(6) كشف الظنون:1096/2، أبجد العلوم:364/2.

(7) كشف الظنون:1096/2.

(8) كشف الظنون:1083/1.

(9) كشف الظنون:1096/1.

المطلب الثاني: التصنيف في الطبقات بحسب بلاد بعينها

وتهدف الكتب المصنفة في هذا القسم إلى التعريف بعلماء بلاد بعينها، أو المشاهير من أهل هذه البلاد في العلوم المختلفة، أو علم بعينه، كعلم الفقه وعلم الحديث على سبيل المثال، وكذا الأدباء والقضاة ونحوهم ، وأمثلة هذا القسم كثيرة نورد بعضها على النحو التالي:

أولا: في التراجم العامة للمشاهير:

- كتاب"بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"للإمام الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة، (ت599هـ)، وهو كتاب مشهور، قال عنه مؤلفه: إنه شامل يؤرخ ويترجم ، حيث يلاحظ أنه لا يستثني في ترجمته ما دام المترجم له شخصا ملحوظًا في أي ناحية من النواحي الفكرية أو الأدبية أو السياسية أو الاجتماعية، سواء كان من أهل الأندلس أو وفد إليها واستقر بها، وقد رتبه ترتيبا زمنيا منذ فتح الأندلس، ورتب الأعلام فيه على حروف المعجم(1).

- كتاب"الحلة السيراء" لابن الأبَّار(أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت658هـ) وهو كتاب نفيس يضم تراجم ابتداء من أهل المائة الأولى حتى المائة السابعة للهجرة، وقد صدر في القاهرة عن دار المعارف سنة 1962 في مجلدين بتحقيق د. حسين مؤنس(2).

وابن الأبَّار هذا يعد من عيون العلماء الذين صنفوا في التاريخ والتراجم حيث قاربت مصنفاته فيهما الأربعين كتابا، منها هذا الكتاب ومنها " التكملة لكتاب الصلة، وكتاب "المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي" على حسب ما ذكره بعض المحققين(3).

- كتاب"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" وهو يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الاول الهجري إلى القرن السابع، مقسمة على سبع طبقات وهو للعلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني ت1341ه مدير ندوة العلماء – بلكهنؤ- الهند(4).

- ومن الكتب الجامعة النافعة التي خرجت لحيز النور في العصر الحاضر كتاب"موسوعة أعلام المغرب" وهي تشتمل على نشر تسع نصوص تراثية في التراجم ينشر بعضها للمرة الأولى، وتترجم هذه الموسوعة لأبرز الشخصيات في بلاد المغرب منذ عهد صدر الإسلام إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

---

(1) بغية الملتمس: 17/1 مقدمة المحقق، و1/ 20 مقدمة المؤلف، والكتاب بتحقيق إبراهيم الإبياري، وصادر عن دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني سنة 1990م.

(2) الكتاب المذكور طبعة دار المعارف ضمن سلسلة ذخائر العرب،الطبعة الثانية 1985م. وينظر:تاريخ التراث العربي، لسزكين:31/1.

(3) د. حسين مؤنس في مقدمة تحقيق كتاب "الحلة السيراء" 45:46/1 بتصرف.

(4) ينظر الكتاب المذكور في الطبعة الثانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند:1382هـ-1962م.

والكتب والرسائل المنشورة فيها هي:

1 – تذكرة المحسنين بوفيات الـأعيان وحوادث السنين" لعبد الكبر بن المجذوب الفاسي.

2 – شرف الطالب في إنى المطالب لأحمد بن قنفذ المسمطيني.

3 – وفيات الونشريسي " لأحمد بن يحيي الونشريسي.

4 –لقط الفرائد من لفاظة حُقق الفوائد" لأحمد بن القاضي.

5 –"دوحة الناشر بمحاسن من كان في المغرب في القرن العاشر"لمحمد بن عسكر الشفشاوني.

6- "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع" لعبد السلام بن عبد القادر بن سوداة.

7 –"سل النضال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال" لعبد السلام بن عبد القادر بن سوداة.

8 –"نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني" لمحمد بن الطيب القادري.

9- "الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر" لعبد الله الفاسي[1]

وحظيت إفريقية بنصيب وافر من المصنفات في تراجم علمائها ونذكر من ذلك غير ما سبق:

طبقات علماء إفريقية لمحمد بن أحمد بن بن تميم التميمي، و"كتاب "قضاة قرطبة وعلماء أفريقية" لأبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت361هـ)، وهومشهور ومطبوع بمكتبة الخانجي بالقاهرة[2]. ومن ذلك " فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، وهو من منشورات دار الغرب الإسلامي سنة 1401هـ[3]. وهذا الكتاب على الرغم من صغره إلا أنه على درجة كبيرة من الأهمية، حيث يشتمل على مائتي ترجمة لعلماء عاشوا في هذه المنطقة مدة تقرب من مائة وستين سنة(1056-1215هـ/1650-1800م) والكتاب يتضمن كثير من هذه التراجم تاريخ مولد المترجم، وأحياناً بتعيين اليوم والساعة، ومكان ولادته وتاريخ وفاته وتسمية أشياخه وما درسه عليهم من كتب وعلوم، وأحياناً أسانيده عنهم إلى مؤلفي هذه الكتب، ولأن منطقة بلاد التكرور هذه لا يكاد المختصون يعرفون عنهما إلا قليلاً، ولهذا فالكتاب يسد بذلك فراغا كبيرا في التعريف بأهلها[4].

---

(1) تنظر الموسوعة المذكورة كاملة 10 مجلدات بتحقيق وتنسيق محمد حجي، وطبع" دار الغرب الإسلامي 1996م.

(2) ينظر الكتاب المذكور طبعة الخانجي الأولى 1372هـ 1953م. بتحقيق السيد عزت العطار الحسيني.

(3)ينظر الكتاب المذكور بتحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي- من منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر –دار الغرب الإسلامي:1401هـ-1981.

(4) نبذة مختصرة عن " فتح الشكور" من موقع النيل والفرات(www.neelwafurat.com)

ثانيًا: في تراجم وطبقات فقهاء ومحدثي بلاد بعينها:

1- طبقات فقهاء تونس، لعبد الله بن ابراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي التونسي [1].

2 - طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات ورؤساء الزمن" وشهرته"طبقات فقهاء اليمن"، لعمر بن علي بن سمرة بن الحسين ابن سمرة بن الهيثم بن أبي العشيرة أبو الخطاب الجعدي المؤرخ اليماني(ت586هـ). وهو كتاب مشهور، وقد نشر في القاهرة 1957م، وفي بيروت 1968م[2].

3 –"رياض النفوس في علماء مدينة القيروان وإفريقية" لأبي بكر عبد الله بن محمد القيرواني (ت453هـ).

4 –" طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها " لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني(ت369هـ) وهو كتاب مشهور ومطبوع.

ثالثا: في تراجم وطبقات قضاة بلاد بعينها:

1- "تاريخ قضاة الأندلس" أو " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النُبَاهي المالقي الأندلسي، وقد سبقت الإشارة إليه[3].

2-"الولاة والقضاة" للكندي(أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت350هـ)، قد تناول فيه من تولى مصر من الولاة والقضاة منذ الفتح الإسلامي لها، وقد طبع الكتاب بتصحيح وتهذيب رفن گاست [4].

رابعًا: في تراجم وطبقات أدباء بلاد بعينها:

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" لأحمد بن الأمين الشنقيطي،وقد تناول أدباء شنقيط وتناول الكلام على بلادهم وتاريخهم وعاداتهم، وهو مطبوع بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1339هـ [5].

المطلب الثالث:التصنيف في طبقات خواص الناس والمشهورين بصفة أو مهنة

وهذا المجال مجال رحب السعة أيضًا، حيث صنفت فيه العديد من المصنفات التي تتناول فئات من الناس بعينها، لصفة جامعة فيهم أو صنعة، وشمل ذلك الأنبياء والصحابة والتابعين والأولياء والصوفية والخلفاء والوزراء ونحوهم، وشمل كذلك الفرسان والمعبرين والخطاطين والفرضيين والنسابين. وطرف من هذه المصنفات يتناول حياة هؤلاء بالترجمة سواء بترتيب أبجدي أو بترتيب زمني، وطرف آخر يقسمهم إلى طبقات مختلفة،

---

(1) تكملة الصلة: 302/2، لأبي عبد الله القضاعي، بتحقيق عبد السلام الهراس، ط: دار الفكر:1415هـ- 1995م.

(2) ينظر: كشف الظنون2/ 1105؛ الأعلام للزركلي 215/5؛ معجم المؤلفين لكحالة: 300/7.

(3) ينظر في مطلب :أهمية كتب الطبقات.

(4) ينظر الكتاب المذكور طبعة مطبعةالآباء اليسوعيين – بيروت 1908م.

(5) ينظر الكتاب المذكور مطبوعا في 551صفحة طباعة حجرية قديمة

ويكفينا في هذا المقام أن نشير إلى أمثلة من الكتب المصنفة في خواص الناس وفئابهم المتعددة، مراعيا جع الشبيه مع شبيهه أو القريب منه، على النحو التالي:

أولا: الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم:

ومن أمثلتها أرجوزة"طبقات الأنبياء عليهم السلام"، وهي لشمس الدين أبى الفتح محمد بن احمد بن يوسف، وتوجد منها نسخة مكونة من 14 ورقة بمكتبة بلدية الإسكندرية.

ثانيًا: الصحابة والتابعين وآل البيت رضوان الله عليهم:

صنف في الصحابة رضوان الله عليهم، كتب تراجم عامة وكتب طبقات، وكتب مناقب، ومن أمثلة ذلك:

1- الإصابة في تمييز الصحابة" لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وهو مرتب على حروف المعجم، والكتاب مطبوع ومشهور، وكانت أولى طبعاته بكلكلتا سنة 1853 في تسع مجلدات.

2- "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لأبي الحسن علي بن محمد ابن الجزري الشهير بابن الأثير(ت630هـ)، وهو مطبوع ومشهور.

ومن كتب الطبقات:

– " الطبقات الكبير" أو الطبقات الكبرى" لابن سعد(محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)، وهو من أشهر ما صنف في هذا الشأن، والكتاب موسوعة مفصلة حيث تناول طرفا من السيرة النبوية، وقسم الصحابة إلى خمس طبقات، وتناول أيضا التابعين، بالإضافة لطبقات النساء، وقد سبق الكلام عليه.

- طبقات الصحابة لأبي عروبة الحراني (ت311هـ)، وذكر بعضهم أن هذا الكتاب لأبي بكر عمرو محمد بن ابراهيم العاصمي تلميذ أبي عروبة[1].

ومن كتب المناقب " الرياض النضرة في مناقب العشرة " لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري( )، وقد تناول فيه مناقب العشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]. ومنها"مناقب الصحابة" لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي الجمَّاعيلي،الشهير بعبد الغني المقدسي (ت600هـ)، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

ومما صنف في التابعين:"جنة الناظرين في معرفة التابعين" لمحب الدين محمد بن النجا البغدادي ت643هـ. وتوجد منها نسخة كاملة بمكتبة دار العلوم الألمانية، بألمانيا الشرقية(سابقا)، أو ما سميت بعد ذلك باسم مكتبة كارل

---

(1) صلة الخلف بموصول السلف:293/1.

(2) مطبوع بدار المعرفة 1997م في ثلاث مجلدات، بتحقيق عبد المجيد طعمة حلبي.

ماركس في مدينة لايبزج جنوب ألمانيا الشرقية [1].

ومما صنف في آل البيت رضي الله عنهم كتاب" طبقات الطالبيين" لمحمد بن أسعد الحسيني (ت588هـ)[2].

ثالثا: الأولياء والنساك والصوفية: ومن أمثلتها:

- " طبقات الأولياء" لأبي عمر بن الملقن(ت804هـ)، مكتبة الخانجي.
- "طبقات الأولياء لمحمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن المناوي(ت 746هـ).
- "طبقات الصوفية" وذكر النسوة المتعبدات الصوفيات" لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُلمي (ت412هـ) وهو مطبوع في دار الكتب العلمية 1412هـ.
- "طبقات الخواص أهل الصدق والخلاص" لأبي العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (ت893هـ)[3]، وهو في طبقات الصوفية من أهل اليمن، والكتاب مطبوع في الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة 1406هـ-1986م
- "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"لأبي أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني وهو مطبوع في الجزائر سنة 1908م.

رابعا: الخلفاء والولاة والفرسان: ومن أمثلتها:

1 - العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" للملك الأشرف إسماعيل بن العباس الغسّاني **(ت803هـ)**، وهو بتحقيق/شاكر محمود عبد المنعم، ونشرته دار البيان- بغداد ودار التراث الإسلامي،سنة: 1395هـ - 1975م.

2- "طبقات الفرسان" لأبي عبيدة معمر بن المثنى اللغوي(ت210هـ) [4].

خامسًا: البارعين في فن أو صنعة أو فرع من فروع العلم: ويشمل ذلك في تقديري:النسابين والمعبرين والخطباء والفرضيين(المواريث) والمغنين.

أ - "طبقات النسابين" لمحمد بن أسعد الحسيني (ت588هـ) [5].

ب - "طبقات المعبرين"لحسن بن الحسين الخلال، وقد استوعب فيه 7500 من الذين برعوا في تعبير الرؤى ، وقسمهم خمسة عشر قسمًا ابتدأهم بالأنبياء ثم الصحابة وهكذا [6].

ج - "طبقات الخطباء" لأحْمَد بن مُحَمَّد بن يُوسُف ابْن مَرَدَة الأصبهاني الأديب[7].

د - "طبقات الخطاطين لجلال الدين السيوطي (ت911)[8]، و"طبقات

---

(1) صورة فوتغرافية لفهرس هذه المكتبة متوفرة لدى الباحث، يحتوي على بيانات (30 مخطوطة تاريخية-26 مخطوطة في أسماء الرجال-24 كتاب في التفسير وأسباب النزول -92 كتابا في الحديث وشروحه).

(2) كشف الظنون:1104/1.

(3) هدية العارفين:136/1.

(4) كشف الظنون:1105/1.

(5) كشف الظنون:1107/1.

(6) كشف الظنون:1106/1-1107.

(7) هدية العارفين:72/1، مقدمة كتاب :طبقات الفقهاء الشافعيين:6/1.

(8) كشف الظنون:1099/1.

الخطاطين"لإبراهيم بن السَّيِّد مصطفى بن نفس الخطاط الرُّومِي الحَنَفِيّ (ت1060هـ) [1].

هـ- "طبقات الفرضيين" لجلال الدين السيوطي[2].

و- "طبقات المغنين" لعمر بن بحر الجاحظ (ت255هـ)[3]، ومثله لأبي أيوب سُلَيْمَان بن ايوب بن احْمَد المدنى(ت400هـ) [4].

المطلب الرابع: التصنيف في الطبقات بحسب أزمنة بعينها

وهذا الصورة من صور كتب الطبقات يركز فيها المصنف على ترجمة قرن بعينه، أو قرون عديدة، بغض النظر عمن يترجم لهم ، بحيث يعد ترجمة فقط لا تخضع لأي تصنيف آخر سوى التصنيف الزمني. ولا يكاد يخلو قرن من القرون الزمنية من كتاب في تراجم مشاهير هذا القرن من العلماء والأعيان وغيرهم، ويتضح ذلك جليا في القرون الهجرية المتأخرة، أو بالأحرى من فوق القرن السابع الهجري. ولعل أبرز ما يميز هذا القسم من التصنيف أنك تجد المصنف فيه قد عاش خلال هذا القرن أو بعده بقرن أو قرنين على الأكثر. ونورد هنا ما وقفنا عليه من الكتب المطبوعة والمخطوطة في هذا القسم وفق الترتيب الزمني:

من مصنفات القرن السابع: "طبقات لمشاهير القرن السابع" للبرزاني (ت739هـ، ومثله للأدفوي(ت 748 هـ) [5].

من مصنفات القرن الثامن:" الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني(ت852هـ) وهوكتاب مشهور وقد طبعته دار الجيل سنة1993م.

من مصنفات القرن التاسع: " الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع" لمحمد بن عبدالرحمن بن محمد, السخاوي(ت902هـ)، وهو كتاب مشهور، وتتوافر منهه نسخ مخطوطة في معظم مكتبات العالم، وقد نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة سنة 1353هـ. وعليه مختصر اسمه " البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" لأحمد بن محمد بن محمد, ابن عبدالسلام (ت 931هـ)، وتتوافر منه نسخ بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس، وبمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وبمخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

من مصنفات القرن العاشر: "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة" للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي (ت1061هـ) [6].

---

(1) هدية العارفين:1/31-32.

(2) كشف الظنون:2/1105.

(3) هدية العارفين:1/72.

(4) هدية العارفين:1/396، ومعجم التراث الإسلامي في مكتبات العالم:2/417، لعلي الرضا بلوط - أحمد طوران قره بلوط، ، وكتاب الجاحظ نشر في القاهرة 1324 وفي بغداد بمجلة المورد البغدادية 1978.

(5) ينظر: جلال الدين السيوطي :عصره وحياته: ص81.

(6) ينظر الكتاب المذكور مطبوعا في ثلاث مجلدات بدار الكتب العلمية – الأولى:1418هـ-1997م.

من مصنفات القرن الحادي عشر: " لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من أعيان القرن الحادي عشر"لنجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي(ت1061هـ) [1].

من مصنفات القرن الثاني عشر: "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" لأبي الفضل محمد بن خليل بن علي المرادي (ت1206هـ)، وهو من منشورات دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة د.ت

من مصنفات القرن الثالث عشر:

أ-" حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" للشيخ عبد الرزاق البيطار(1335هـ)، وقد نشره مجمع اللغة العربية في بغداد، وطبعته دار صادر في مجلد يحتوي ثلاث أجزاء سنة 1961م، 1993م [2].

ب- "المسك الإذفر في مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر" للسيد محمود شكري الألوسي[3].

من مصنفات القرن الرابع عشر:

أ-"المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم" لإبراهيم بن محمد بن ناصر السيف(معاصر)[4].

ب- "نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر" ومعه"عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر" د. يوسف المرعشلي[5].

وحيث انتهينا من إلقاء الضوء على طرق التصنيف وتقسيمات كتب الطبقات، فلنشرع بعون الله تعالى في بيان خصائصها وسماتها، وذلك من خلال سرد بعض أمثلة كتب الطبقات وتناولها بالدراسة والتحليل في المبحث التالي:

المبحث الثالث: خصائص كتب الطبقات ومنهجها- دراسة وتحليل[6]

سبق بيان أهمية كتب الطبقات ودورها الرائد في التراث الإسلامي، وكيف أنها تقدم صورة رائعة عن حياة وإنجازات عظماء هذه الأمة في شتى الميادين، ورأينا كيف أن طرق تصنيفها قد تنوعت، واتخذت أقساما مختلفة على نحو ما سبق في المبحث الثاني. وبناء على التنوع في طرق تصنيف

---

(1) ينظر الكتاب المذكور مطبوعا في مجلدين بتحقيق محمود الشيخ- من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق-د.ت.

(2) ينظر الكتاب المذكور والطبعة المذكورة.

(3) ينظر الكتاب المذكور مطبوعا في المكتبة العربية ببغداد – 1398هـ1930م.

(4) ينظر الكتاب المذكور مطبوعا في 5 مجلدات طبعة دار العاصمة بالرياض- الأولى:1426هـ2005م.

(5) ينظر الكتاب المذكور طبعة دار المعرفة – الأولى:1427هـ2006م ويقع في 2199 صفحة.

(6) **ملاحظة هامة:**هذا المبحث يعتمد بأكمله على الرجوع إلى جميع المراجع المذكورة في الأمثلة، دراسة وتحليلا لها، ولهذا آثرت أن لا أثقله بالحواشي التي أذكر فيها هذه الكتب، وهي جميعها متوفرة بفضل الله تعالى لدي، حيث لم أذكر شيئا عن كتاب منها إلا بعد وقوفي عليه، وتصفحي له في مواضع عديدة، ولا أورد حواشٍ إلا فيما أذكره منسوبًا لغيري من تحليل أو دراسة أو نقد لبعض هذه الخصائص، أو توثيقا لنص منقول من بعض هذه الكتب.

كتب الطبقات، فإننا نجد بينها اختلافا ملحوظًا في الخصائص والسمات، حيث يتسم بعضها بالإسهاب في جانب والاختصار في آخر، ويهتم بعضها بذكر أشياء بينما يغفلها الآخر، وإن كانت هناك خصائص وسمات مشتركة في جميعها، وسمات أخرى تنفرد بها بعض كتب الطبقات، ولا توجد في غيرها.

ولا يمكن أن تكون الموازنة بين كتب الطبقات بإضفاء النقص على بعضها في مقابل الكمال للبعض الآخر، أو نقول إن خصائص هذا الكتاب إيجابية، وخصائص الأخرى سلبية، ولكن نقول من باب الإنصاف: إن كل كتاب له ظروفه ومنهجه في التصنيف، بل كل فن له ظروفه، ولهذا قد نجد المؤلف الواحد يصنف كتابين أو أكثر في الطبقات والتراجم، ومع ذلك يختلف أسلوبه في كل كتاب. وفي تناولي للخصائص حاولت قدر جهدي أن أختار طريقة مناسبة للتناول، فوجدت أن أفضلها طريقتان: الأولى: تقسيم الخصائص إلى خصائص عامة(موجودة في كل كتب الطبقات) وخصائص خاصة ببعض الكتب دون الأخرى، والطريقة الثانية: طريقة التجزئة لمضمون الترجمة للشخص(حيث إن الصورة الوافية للترجمة وذكر الشخص في كتاب الطبقات في تقديري ينبغي أن تتضمن ما يلي: اسم الشخص ونسبه مضبوطين، وتاريخ مولده ووفاته وموضع ذلك إن أمكن، ومناقبه ومآثره، وما قيل فيه أو عنه مدحًا أو قدحًا، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته التي خلّفها، ومناصبه أو وظائفه التي تقلدها، وطرفا مما وقع معه من محن أو بلايا، وجهوده في الحياة السياسية والعسكرية إن كان خليفة أو قائدًا، وطرفا من كلامه إن كان من الحكماء أو العلماء أو الصوفية أو الأدباء أو الشعراء، وطرفًا من آرائه، إن كان فقيها، أو طبيبًا، أو مروياته إن كان محدِّثًا). وكانت طريقة التجزئة هي الأقرب لتوضيح الصورة وإبراز خصائص وسمات كتب الطبقات، ومناهج المؤلفين فيها، لاسيما حين ندعمها بذكر الأمثلة من الكتب المختلفة، ثم نعقبها بذكر خصائص معينة اتصفت بها طائفة من كتب الطبقات، لا تخضع – في تقديري – لتلك التجزئة، وذلك من خلال مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: الخصائص المتعلقة بمحتوى ترجمة الشخص وجزئياتها في كتب الطبقات

ويشمل ذلك ذكر(الاسم والنسب، وتاريخ المولد والوفاة، والشيوخ والتلاميذ والمصنفات، والبلاد التي ارتبط بها الشخص المترجم له، ومناقبه ومآثره، ومصادر ترجمته أو التعريف به).

- **أولا: الاختلاف في طريقة عرض الاسم والنسب.**

هذا أول ما يميز كتب الطبقات، حيث نجد اختلافا ملحوظا بين كتب الطبقات- وفق التقسيمات المختلفة التي ذكرناها- في طريقة عرض كل منها لاسم الشخص المترجم له ونسبه؛ ففي بعض المصنفات يعمد المصنف بداية إلى ذكر اسم الشخص وضبطه وضبط نسبه بالشكل جيدًا في الأعم الأغلب،

ويورد ما في الاسم والنسب من الاختلاف، وفي بعضها الآخر يكتفي المصنف بذكر الاسم والنسب الأشهر ضبطا. ولا شك أن الطريقة الأولى أكثر فائدة من الثانية، حيث تقدم معلومات وافرة عن الاسم والنسب، لاسيما إذا ذكر المصنف مستنده في الاسم والنسب، سواء كان كتابا متقدما على كتابه، أو عالما نقل عنه ذلك.

فمن أمثلة الطريقة الأولى: "طبقات الشافعية" لجمال الدين الإسنوي(اهتم بالضبط بالشكل في مواضع كثيرة، واختصر في مواضع قليلة)

ومن أمثلة الطريقة الثانية: "طبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي، حيث لا يعرض لاختلاف في اسم الشخص ولا في نسبه.

- **ثانيًا: الاختلاف في ذكر تاريخ الميلاد والوفاة:**

الناحية التاريخية في كتب الطبقات على درجة قصوى من الأهمية، وأهم شيئين في تاريخ الشخص المترجم له هما: متى ولد؟ ومتى توفي؟ فضبط هذين التاريخين يعطي صورة واضحة عن حياة الشخص ونشأته، ويختلف منهج المصنفين في ذلك، بما يجعل لكل كتاب سماته التي ليست في الآخر.

* فبعض المصنفين في الطبقات يذكر التاريخين(تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة)، بل ويورد ما فيهما أو في إحداهما من اختلاف تاريخي. **ومن أمثلة ذلك:**" المقفي الكبير" لتقي الدين المقريزي، حيث أورد في مواطن كثيرة من كتابه تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة، و"ذيل طبقات الشافعية" للعبادي.

* بينما يكتفي البعض الآخر بذكر تاريخ الوفاة فقط، وغالبا يذكر التاريخ الأشهر، وهذه السمة تجدها غالبا في كتب الوفيات، ونجدها أيضا في بعض الكتب المؤلفة في الطبقات تبعًا للعلوم والفنون المختلفة.

ومن أمثلة ذلك:"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"لابن حجر العسقلاني، و"الوافي بالوفيات "للصفدي" وبعض كتب طبقات فقهاء المذاهب، كـ"طبقات الحنفية"، و"طبقات الشافعية"،و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" للسيوطي،و"طبقات علماء الحديث"لابن عبد الهادي. وثم بعض ثالث لا يذكر تاريخ ميلاد ولا وفاة، وهو في تقديري نوعان:

النوع الأول: كتاب لا يذكر أي شيء عن تاريخ الميلاد والوفاة، على الرغم من إسهابه في ذكر مآثر الشخص وما صدر عنه من أقوال، وما حصل له من مواقف، وما تولاه من مناصب، وأبرز مثال على ذلك كتاب" الحلة السيراء" لابن الأبار، وفي تقديري أنَّ منهجه في ذلك إنما مرده إلى أنه قسم كتابه تبعا للقرون الزمنية بدءًا من المائة الأولى وانتهاء بالسابعة، وهذا الذي أغناه عن ذكر تاريخ الميلاد أو تاريخ الوفاة بالضبط.

والنوع الثاني: لا يذكر التواريخ، ولا يذكر أي معلومة أخرى سوى الصفة والاسم، وذلك لقيامه بتقسيم طبقاتهم إلى مراحل زمنية قد تكون ربع قرن أو ثلث قرن، وهذا واضح جلي في "المعين في طبقات المحدثين" للحافظ الذهبي، حيث ذكر حوالي 2443 شخصا في حوالي 29 طبقة منذ عصر

الصحابة وحتى سنة سبعمائة وبضعة وعشرين من الهجرة، مما يجعل كتابه مجرد قاموس لأسماء المحدثين وطبقاتهم فقط.

- **ثالثا: الاختلاف في عرض أسماء شيوخ الشخص وتلاميذه ومؤلفاته.**

يحرص بعض المصنفين في الطبقات على تقديم صورة واسعة لشيوخ الشخص المترجم له وتلاميذه، لما للشيوخ من الآثار الطيبة في حياته، وللتلاميذ من دلالة على جهوده وإنجازته المختلفة، وبعض كتب الطبقات تذكر الشيوخ فقط، وتشير إلى أنه سمع منه أو تتلمذ عليه عدد من التلاميذ على جهة العموم، وبعض ثالث من كتب الطبقات لا يذكر هذا ولا ذاك.

فمن أمثلة النوع الأول: "سير أعلام النبلاء" للذهبي، و"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" لمخلوف، و"طبقات الشافعية"لابن قاضي شهبة.

ومن أمثلة النوع الثاني: "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" لمحمد بن حميد النحدي، حيث يشير في مواطن كثيرة للشيوخ فقط، وبإيجاز.

ومن أمثلة النوع الثالث:"المعين في طبقات المحدثين" للحافظ الذهبي، و"أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين"لابن حزم الأندلسي.

أما عن إنجازات الشخص المترجم له في كتب الطبقات من مؤلفات وغيرها، فإننا نجد تباينا واضحا في ذكرها كاملة أو ذكر بعض ما وقف عليه المصنف من أسمائها، أو عدم ذكرها مطلقا، وعلى جهة العموم فإن ذكر مؤلفات الشخص تبدو جلية في كتب طبقات المحدثين والحفاظ والمفسرين والفقهاء واللغويين ونحوها مما يتعلق بعلوم معينة، وبالطبع فإن تعداد مؤلفات الشخص نابع من إنجازاته التي خلفها من المؤلفات كثرة وقلة، ونورد هنا أمثلة لكتب الطبقات التي اهتمت بذكر المؤلفات.

1 – "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"لابن فرحون، حيث يسرد طائفة كبيرة من مؤلفات العالم الذي يترجم له، ويثني أو ينقل ثناء العلماء على بعض هذه المؤلفات.

2- "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" لتقي الدين المقريزي (ت845هـ)، حيث يهتم بإيراد الكتب التي ألفها الشخص إن كان من العلماء في فن من الفنون.

- **رابعًا: الاختلاف في ذكر البلاد التي عاش فيها الشخص(ولادة ونشأة ترحالا ووفاة).**

تحرص بعض كتب الطبقات على ذكر البلاد التي ارتبط بها الشخص نشأة وسفرا وترحالا، وذكر مكان ولادته ومكان وفاته، والبلاد التي حلَّ عليها طالبا للعلم أو معلّمًا، بينما تغفل بعض الكتب ذكر ذلك أو تذكره نادرًا، ولا شك أن ذكر البلاد التي ارتبط بها الشخص لها أهمية كبيرة في التعرف على جانب هام من حياته. فمن أمثلة الكتب التي ذكرت ذلك: "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" للسيوطي، و"شجرة النور الزكية في طبقات

المالكية" لمخلوف و" السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة"للنحدي. ومن أمثلة الكتب التي تغفل ذلك: "المعين في طبقات المحدثين" للحافظ الذهبي.

- **خامسًا: الاختلاف في عرض مناقب الشخص ومآثره ومناصبه التي تولاها.**

بينما نجد طائفة من كتب الطبقات والتراجم تذكر مناقب الشخص وصفاته وأخلاقه، وتورد شيئا مما قيل فيه مدحا وثناء، فإننا نجد طائفة أخرى تذكر المناصب التي تولاها الشخص أو تقلدها في مكان ما أو زمان ما، ونجد طائفة ثالثة لا تتعرض لشيء من ذلك بل تكتفي فقط بمجرد ترجمة عامة للشخص.

فمن أمثلة النوع الأول:"طبقات الصوفية" لمحمد بن الحسين السلمي، "وطبقات الخواص اهل الصدق والإخلاص" للزبيدي،و"طبقات المفسرين " لأحمد بن محمد الأدنه وي.

ومن أمثلة النوع الثاني:" الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"لابن حجر العسقلاني، و"طبقات الشافعية"لابن قاضي شهبة، "المقفي الكبير" لتقي الدين المقريزي، فهذه النماذج تناولت بالذكر مناصب الشخص المترجم له، وما تعرض له من فتن ومحن، وحط وترحال.

ومن أمثلة النوع الثالث:"المعين في طبقات المحدثين" للحافظ الذهبي، و"أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين"لابن حزم الأندلسي.

- **سادسًا: الاختلاف في ذكر مصادر المصنف التي ترجمت للشخص وعدم ذكرها.**

تحرص بعض كتب الطبقات على ذكر المصادر التي ترجمت للشخص أو تكلمت عن طرف من حياته، وهذا في حد ذاته يعد توثيقًا وتأكيدًا للمعلومة التي يوردها، حيث يقول مثلا: ذكره فلان في كذا، أو أورده في كذا، وهذا نجده واضحًا في كتب التراجم والطبقات التي صنفت في الفقهاء، أو التي صنفت في عصور متأخرة، أو التي تتميز بإسهاب في الترجمة للشخص.
ومن أمثلة ذلك: "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" لابن أبي الوفاء القرشي(ت775هـ)، حيث ينقل عن الحاكم النيسابوري، والذهبي، والخطيب البغدادي وغيرهم، و" السحب الوابلة على ضرائح النابلة" لمحمد بن عبد الله بن حميد النحدي المكي.بينما نجد عددا كبيرًا من كتب الطبقات لا تذكر مصادرها التي اعتمدت عليها، ولا تشير إلى من نقلت عنه، وهذا نجده واضحًا في كتب طبقات العصور المتقدمة، وفي كتب الطبقات التي تتميز بالاختصار. وبهذا يمكن القول بأن الاختلاف الملحوظ بين كتب الطبقات، ومناهج المؤلفين فيها، ليعطي لكل كتاب منها خصائصه التي تميزه عن الآخر، بما يعد كل كتاب منها فريدًا في منهجه نافعًا في موقعه، موردًا للمعلومات المناسبة لحال الكتاب.

المطلب الثاني: الخصائص التي تميزت بها بعض كتب الطبقات- نماذج تحليلية

بدراسة طائفة من كتب الطبقات المصنفة تبعا للعلوم والفنون المختلفة، أو المصنفة في بعض خواص الناس، نجد أنها أفردت لبعض الأشخاص عشرات الصفحات، بحيث لم تقتصر على ذكر المعلومات الأساسية عنه، وفقا للتجزئة السابق ذكرها. بل تعدى دورها كتب الطبقات فأصبحت ترجمة الشخص فيها بمثابة موسوعة علمية كاملة عن الشخص، فذكرت معظم أو أكثر آرائه، إن كان فقيهًا من فقهاء السلف، أو فقهاء المذاهب، أو عالمًا من علماء اللغة، وطائفة كبيرة من مروياته إن كان صحابيا أو محدثًا أو حافظًا، وجملة نافعة من آرائه ونظرياته وإنجازاته الطبية إن كان طبيبًا، وإسهابا واسعا في ذكر كراماته ومناقبه سواء ما يقبله العقل منها أو ما لا يقبله،أو تمثل اعتدالا أو شطحًا، وما قيل فيه مدحًا وإطراءًا إن كان من الأولياء أو الصوفية، وطائفة من شعره ونثره إن كان شاعرًا أو أديبًا.

ولا يفهم من هذا أن جميع من ترجم له في هذه الكتب قد أخذ هذا الاهتمام الواسع، بل التوسع مبني على شهرة الشخص وجهوده، وإلا ففي بعض هذه الكتب ترجمات لأشخاص لا تزيد على سطر أو سطرين. وهذا النوع من كتب الطبقات-أعني الكتب الموسوعية- واسع المنفعة غزير الفائدة، لأن الشخص المترجم له قد تكون بعض كتبه أو مصنفاته أو أكثرها مفقودًا، فيكون الوصول إلى آرائه وإنجازاته عسيرًا، فيقدم كتاب الطبقات الذي تناوله ضالتنا المنشودة، وقد ينسب له من الآراء أو يتقول عليه ما لم يقل، فيكون كتاب الطبقات الذي ترجم له بهذا الشكل الواسع بمثابة الشاهد المثبت لما نسب إليه، أو النافي عنه ذلك.

ونحمد الله تعالى أن وصل إلينا طائفة من هذه الكتب الموسوعية التي أسهمت إلى حد كبير في تجلية الصورة وتقديم الرؤية الواضحة عن بعض الشخصيات التي أثرت في حياة البشرية في المجالات المختلفة.

وأكتفي هنا بأربعة نماذج من هذه الكتب من عصور مختلفة، بين كل كتاب والثاني منها أكثر من قرنين من الزمان،حيث ألقي الضوء عليها، وأبرز ما فيها من خصائص واسعة ميزتها عن غيرها من كتب الطبقات.

النموذج الأول "الطبقات الكبير"أوالطبقات الكبرى" لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)

تقدم الكلام عن كتاب طبقات ابن سعد ونسبته إليه، والكتاب يتكون هذا الكتاب من أجزاء، فالجزأين الأول والثاني خصصهما المؤلف للسيرة النبوية، .... وخصص الجزء الأخير للنساء.

والملاحظ في منهج الكتاب أن لابن سعد منهجه وخصائصه في قسم السيرة، ومنهجه وخصائصه في قسم الطبقات، والذي يعنينا هنا هو منهجه في الطبقات، ونلخصه في العناصر التالية:

- يُطلق المؤلف في طبقات من بعد الصحابة أحكام الجرح والتعديل على الرواة كقوله: ثقة ثبت مأمون،أو: ثقة ثبت حجة، أو ليس بذاك.
- يلاحظ تفاوت التراجم طولا وقصرًا في سائر الطبقات بحسب مكانة وأهمية المُترجم، فبعض التراجم فيها إطالة واضحة، وبعضها لا يتجاوز ذكر اسم المترجم دون ذكر أي معلومات تتعلق به.
- يلتزم ابن سعد الحيادية والاعتدال في الجرح والتعديل، فهو ينقل عن غيره ويقول رأيه بكل أمانة وحياد.
- يلتزم المؤلف سوق الإسناد للروايات المختلفة التي يذكرها في كتابه هذا في سائر الطبقات.
- يُقدّم معلومات دقيقة عن المترجم من حيث صفاته الخَلقية أو الخُلقية أو أحواله الدالة على مكانته العلمية أو على عقيدته كما يذكر بعض شيوخه وتلامذته،هذا بالإضافة إلى المعلومات الأساسية عن الاسم والنسب والنشأة. ونحوها[1].

النموذج الثاني"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"لأبي نعيم الأصفهاني ت430

كتاب جليل النفع عظيم القدر صنفه صاحبه في المهاجرين وأهل الصُّفة من الصحابة والنساء من الصحابيات، والتابعين والنساك والعبَّاد، فأكثر من ذكر أحوال كثير منهم ومناقبه، ومروياته وأقواله، مما يعد معه الكتاب موسوعة علمية للأحاديث والآثار التي رووها والأقوال التي قالوها، وأبرز خصائصه ما يلي:

1 – الإطناب في ترجمة كثير من الصحابة الأجلاء، وإيراد طرف كبير من مناقبهم ومآثرهم وأقوالهم.
(ينظر ترجمته لكبار الصحابة، وزوجات النبي ﷺ وغيرهم).

2- إيراد طرف كبير من مروياتهم عن رسول الله ﷺ، والحكم على الكثير منها صحة وضعفًا، لدرجة أن الكتاب اعتمد عليه كثير من العلماء القدامى في تخريج بعض الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم.
(ينظر حكم أبي نعيم على طائفة كبيرة من الأحاديث والآثار التي أوردها في كتابه). وينظر: قيام الغزالي بتخريج ما يقرب من 50 حديثا وأثرًا منه في الإحياء، وابن الملقن في بضعة مواضع في البدر المنير، وابن حجر في الدراية، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة).

3- إطراء الكتاب على كثير من الزهاد والعباد والنساك، ووصفهم بصفات رقيقة، تبين عن نقائهم وصفائهم وشدة زهدهم وعبادتهم، وقد التزم أبو نعيم في هذا الإطراء أسلوب السجع البلاغي الرقيق.

---

(1) ينظر الكتاب المذكور، وينظر بحث: دراسة عن ابن سعد وكتابه"الطبقات الكبرى" منشور بموقع الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها.

(ينظر ذلك واضحا في القسم الأخير من الكتاب الذي ذكرَ فيه طوائف من جماهير النساك والعباد).

النموذج الثالث"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة (ت668هـ).

وقد صنفه ابن أبي أصيبعة الطبيب العربي المشهور باذلًا فيه جهدًا كبيرًا وعناء بالغًا، وترجم فيه لأربعمائة طبيب من كبار أطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ وحتى عصره. فلم يكتف بأطباء العرب أو أطباء المسلمين، بل ترجم لأطباء الهند والرومان ، وقسم كتابه إلى عدة أقسام بلغت خمسة عشر قسمًا، وأهم ما يتسم به هذا السفر الضخم ما يلي:

1 – الإسهاب الواسع في ترجمة الأطباء المشهورين من الإغريق والهنود والعرب،بحيث يعطي صورة كاملة عن حياتهم وأساتذتهم وتلاميذهم ورحلاتهم المتعددة والمناصب التي تولوها(انظر ترجمته لجالينوس طبيب اليونان).

2- عرض طائفة كبيرة من إنجازات بعض الأطباء المشهورين، مثل نظرياتهم واكتشافاتهم الطبية، واختراعاتهم للآلات المختلفة، وطرفا من العمليات الجراحية والعلاجية الصعبة التي قاموا بها لبعض الناس كالحكام والولاة بشيء من التفصيل الواسع، بحيث يبرز مهارة هذا الطبيب وبراعته(انظر ترجمته للطبيب جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس، ومواقفه وبراعته في علاج الرشيد والمأمون ومعاصريهم).

3- اشتمال الكتاب على معلومات طبية بالغة الأهمية، وعلى تعريف واسع بعلم الطب وخصائصه، وقواعده، مما يجعل الكتاب كتابا في الطب والطبقات في آن واحد(ينظر الباب الأول من الكتاب).

4- تقديم الكتاب لمفاجآت عن بعض العلماء والأدباء والشعراء، لم يُعرف عنهم خبرة أو اهتماما بالطب،إلا من خلال كتاب ابن أبي أصيبعة، حيث يورد معلومات عن براعتهم في الطب على الرغم من كونهم أدباء أو فقهاء أو شعراء، ويستشهد على ذلك بذكر بعض الكتب التي قرأوها أو درسوها.

(ينظر على سبيل المثال تراجمه لأبي الحجاج يوسف بن موراطير الأندلسي، وأبي جعفر أحمد بن حسان الغرناطي، وسليمان أبي بكر بن تاج، وموفق الدين عبد العزيز) حيث ذكر عنهم اشتغالهم بالفقه والأدب والحديث ونحوها من العلوم الشرعية واللغوية.

5 – لا يهتم الكتاب بذكر التواريخ(لا الميلاد ولا الوفاة إلا فيما ندر) ولعل ذلك يعود في تقديري إلى أنه قسّمه حسب العصور والبلدان المختلفة، فلم يكن للاهتمام بالتواريخ فائدة، أو لكون كثير من الأطباء عاصروا دولا بعينها أو حكامًا بعينهم، فيسهل حينئذ الوقوف على تاريخ حياتهم من خلال معرفة تاريخ ذلك الحاكم أو تلك الدولة. ولأهمية الكتاب اهتم الغرب به حيث قام المستشرق الألماني"مولر" بنشره بعد عثوره على نسختين خطيتين له في سنة 1884م، وفي سنة1299ه طبع في مصر نقلا عن الطبعة الألمانية،وتعد

طبعته المصرية نادرة الوجود حاليا [1]. وتلقفه أحد الأطباء المعاصرين بتأليف ذيل عليه أو تكملة له من سنة 650هـ إلى بدايات القرن العشرين الميلادي، وهو الطبيب المصري أحمد عيسى بك الذي ألف كتابه"معجم الأطباء من سنة 650 إلى يومنا هذا " أو "ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وقد رتبه على حروف المعجم.وقد طبع الكتاب بمطبعة فتح الله إلياس نوري وأولاده بمصر في سنة 1361هـ-1942م ، وهو الكتاب رقم 18 من منشورات كلية الطب بجامعة فؤاد الأول(جامعة القاهرة حاليا)[2].

النموذج الرابع "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص"للزبيدي (ت893هـ)

تتسم الكتب المصنفة في طبقات الصوفية بالتوسع الكبير في ذكر مناقب ومآثر الشخصيات الذين وردوا فيها، حيث يجد القارئ فيها إسهابا في ذكر أقوالهم وكراماتهم وما جرى لهم أو وقع منهم سواء اتفق مع العقل أو بعُد عنه، وما قيل فيهم مدحا وإطراء. ومن ذلك طبقات الصوفية للسلمي (ت412هـ) الذي جمع فيه- على حد قوله- خمس طبقات من أئمة الصوفية ومشايخهم وعلمائهم، وذكر في كل طبقة عشرين شخصًا، موردًا كلامهم وشمائلهم وسيرتهم وحالهم وعلمهم[3]. ومنها"طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص"للزبيدي(ت893هـ) والذي أورد فيه حكايات عن الأولياء والصوفية من الكرامات والمقامات ونحوها، وفيها الكثير من الأمور، التي يتوقف عندها المرء، إما لغرابتها، وإما لأنها تتنافى مع الشرع، ويأباها العقل. ولكن على أية حال أكتفي هنا بذكر أمثلة مما ورد في كتاب الزبيدي لتكون دلالة على انفراد كتب طبقات الصوفية والأولياء بخصائص قلما توجد في غيرها.

1- ذكر الزبيدي في ترجمة أبي الحسن علي بن قاسم العليف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي: أن من قرأ عند قبره سورة يس 41مرة متصلة بلا فصلٍ بينها، قضيت حاجته كائنة ما كانت[4].

2- ذكر الزبيدي في ترجمة الشيخ طلحة بن عيسى بن إبراهيم بن أبي بكر(ابن الشيخ عيسى بن إقبال الهتار) أن القاضي أحمد التهامي الحاكم بزبيد دخل عنده ليكلمه في أمر فمكث عنده ساعة وخرج لم يتكلم معه، فسأله بعض الناس لم لم تسأله؟ فقال: والله ما قعدت عنده إلا رأيت النبي ﷺ عنده (وهذا عند من يعتقد برؤية النبي ﷺ في اليقظة) [5]. وهكذا نجد انفراد كتب طبقات

---

(1) مقدمة كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء:ص5، للدكتور نزار رضا- منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت- بدون تاريخ.

(2) ينظر الكتاب المذكور، وهو يقع في 532 صفحة.

(3) ينظر كلام السلمي في مقدمة كتابه الكتاب المذكور:ص21، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا- ط:دار الكتب العلمية:1419هـ-1998م.

(4) طبقات الخواص" للزبيدي: ص201.

(5) طبقات الخواص" للزبيدي: ص164.

الصوفية والأولياء ونحوهم بخاصية التوسع في سرد أقوال وكرامات وحكايات الأشخاص الذين وردت تراجمهم فيها.

وبنظرة تحليلية لما سبق ذكره من الأمثلة يمكننا استخلاص النتائج التالية:

أولا: تختلف ترجمة الشخص في كتب الطبقات إطنابًا واختصارًا تبعًا لشهرة الشخص وجهوده في المجال الذي تخصص فيه أو برع فيه، ويبدو ذلك جليًا في كتب الطبقات التي تناولت الفقهاء والمفسرين والمحدثين واللغويين ونحوهم من أرباب العلوم.

ثانيًا: يمكن اعتبار بعض كتب الطبقات المتشابهة سلسلة متواصلة تكمل بعضها بعضًا، فما أغفله مصنف في كتابه ، أتى به مصنف آخر، وما اختصره واحد أسهب فيه غيره، ولهذا فمن أراد أن يجمع معلومات وافرة عن محدث أو فقيه أو مفسر، فليبحث في أكبر عدد من كتب الطبقات في نفس الفن، فإنه يجد ضالته المنشودة.

ثالثًا: أن لكل كتاب من كتب الطبقات ظروفه الخاصة وخصائصه التي تجعل منه مصدرًا نافعًا في موضوعه، بغض النظر عن اختصاره أو إطنابه، أو صغره أو ضخامته، فالكتاب قد يكون موجزًا في عرضه لكن معلوماته دقيقة وموثوقة يعتمد عليها.

رابعًا: أن التنوع في طرق عرض المعلومات في كتب الطبقات، لا شك يحقق أهدافًا مختلفة لطالب المعلومة والباحث عنها، لأن أفكار الباحثين ومشاربهم تختلف من شخص لآخر، فبعضهم يريد اختصارًا، والبعض الآخر يريد إطنابًا، وهناك من يهتم بالتواريخ، وهناك من لا يهتم بها، ولكن يهتم بالشيوخ والتلاميذ والمصنفات، فهذا التنوع في الخصائص يحقق لكل صاحب غرضٍ غرضه.

خامسًا: أن بعض كتب الطبقات اتسمت بالحيادية في نقل المعلومات والدقة والتحري فيها، والتعرض لبعض المعلومات بالنقد والتحليل والإثبات والنفي. بينما نجد بعضها الآخر اعتمدت على المبالغات المفرطة، متأثرة في ذلك بالمجتمع الذي عاش فيه الشخص المترجم له، فنقلت كل ما نسب إليه أو أثر عنه أو وُصِف به غثًا كان أو سمينًا، وكان موقف مصنف الكتاب من تلك المعلومات والمبالغات موقف الناقل فقط، فلم يتدخل بنقد أو تحليل.